محمد علي مشعل

العقيدة الإسلامية

العقيدة الإسلامية

الطبعة الثانية

مقابلة على أصل المؤلف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

الناشر

موقع الشيخ محمد علي مشعل على الإنترنت

www.mashal.ws

contact@mashal.ws

العَقِيدَةُ الإِسْلامِيَّةُ

تأليف

الشيخ محمد علي مشعل

رحمه الله تعالى

(١٩٢٤م – ٢٠١٦م)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فهرس المحتويات

تصدير ١١

مقدمة في علم التوحيد ١٣

مقدمة في علم التوحيد ١٥

الحكم: ثلاثةُ أقسامٍ ١٥

الأحكامُ الشرعية: قسمان ١٥

الأحكام العقلية: ثلاثة ١٦

شروط التكليف: أربعة ١٦

معنىٰ معرفة الله عز وجل ١٧

الإيمان ١٨

الإسلام ١٨

أمور الدِّين أربعة ١٩

ما يشتمل عليه الدِّين ١٩

الإسلام والإيمان ٢٠

الإيمان يزيد ونقص ٢٣

العقيدةُ الإسلامية أربعةُ أقسام رئيسة ٢٤

قسم الإلهيات ٢٥

أسماء الله وصفاته ٢٧

أسماء الله تعالىٰ: ٢٨

تفسير الأسماء باختصار ٣٠

صفات الله سبحانه وتعالىٰ ٣٧

المُحْكَمُ والمُتشَابه ٤٥

أمثلة المتشابه ٤٥
بعضُ النصوصِ المتشابهة ٤٥
مَوقِفُ السلفِ مِنَ النصوصِ المتَشَابهةِ ٤٧
موقفُ الخَلَف من النصوص المتشابهة: ٥١
اعتمادُ رأي السلفِ: ٥٣
فواتحُ السور: ٥٤
قسم الروحانيات ٥٥
الإيمان بالملائكة ٥٧
تعريف الملائكة ٥٧
رؤساؤُهم ٥٧
الجنّ والشّياطين ٥٩
قسم النبوات ٦٣
الإيمان بالكتب السَّماوية ٦٥
الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام ٦٩
المعجزةُ: ٧١
والمذكورُ في القرآنِ الكريم: خمسةٌ وعُشرونَ نبيـًا ورسولاً ٧٣
الكرامةُ: ٧٣
قسم السمعيات ٧٧
علامات الساعة ٧٩
علاماتُ الساعةِ الصغرىٰ ٧٩

علامات الساعة الكبرىٰ ٨٢
الإيمان باليوم الآخر وما يلتحق به ٩٦
الموت حقٌّ ٩٦
أطوار الحياة ٩٨
السُؤَالُ في القبرِ ٩٩
عَذَابُ القَبْرِ ١٠٠
نَعِيمُ القَبْرِ ١٠٢
البَعْثُ ١٠٢
الحَشْرُ ١٠٣
طُولُ الوقوفِ ١٠٤
وَصْفُ يومِ القيامةِ ١٠٤
إخراج بعث النار ١٠٥
إخراج بعث الجنة ١٠٦
الحِسَابُ ١٠٧
تَطَايُر الكُتُبِ ١٠٨
الميزانُ حقٌّ ١١٠
الحَوْضُ ١١٢
الصِّرَاطُ حَقٌّ ١١٣
الشَّفَاعَةُ حقٌّ ١١٥
النّار حقٌّ ١١٩
الجَنَّةُ حقٌّ ١٢٤
الإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ ١٣٣
الرِزْقُ ١٣٥
الأَجَلُ ١٣٥

الأسباب والمسببات ١٣٧
اللوح والقلم والكرسي والعرش ١٤٧
الإسْرَاءُ والمِعْرَاجُ ١٤٨
رؤيةُ اللهِ سبحانه وتعالىٰ في الدنيا ١٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

انشغل الشيخ المؤلف أثناء إقامته في المدينة المنورة، ابتداءً من عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)، بتأسيس الشباب من الناحية العلمية، قبل تفرقهم في بلدانٍ شتىٰ، للدّراسة في تخصُّصَاتٍ غير العلوم الشرعية، فأعدَّ لهذا الغرض مختصراتٍ في النحو، والسيرة، والعقيدة، والفرائض، والتاريخ، وقام بتدريسها في حلقاتٍ علميةٍ موجهةٍ للشباب بصفةٍ خاصةٍ، ولطلبة العلم بصفةٍ عامةٍ، في كلٍ من المدينة المنورة وجدّة ومكّة المكرمة، وقد منَّ الله علىٰ الشيخ بتخريج عددٍ كبيرٍ من الطّلاب الذين درسوا علىٰ يديه تلك المختصرات.

وهذا المؤلَّف نتاج تلك المرحلة، وقد حوىٰ ما لا يسع المكلّف جهله في موضوع العقيدة الإسلامية، مِن الإيمان بالله، وأسماء الله وصفاته، والإيمان بالملائكة، وما يلحق به من العوالم الغيبية، والإيمان بالكتب السَّماوية، والإيمان بالأنبياء والرسل، وعلامات السّاعة، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر، وختم بالإسراء والمعراج.

وهو بفضل الله شاملٌ لموضوعه مع الاختصار، وهو كما أراده الشيخُ الوالدُ يفي بحاجة طالب العلم في هذا الموضوع، وهو بمستوىٰ مقررٍ دراسيٍّ متكاملٍ في المعاهد والمدارس والجامعات، ويمكن الاعتماد عليه في إعادة تأهيل الأئمة والخطباء والدعاة.

د. عبد الباري بن محمد علي مشعل

مقدمة في علم التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة في علم التوحيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وبعد:

فإنَّ علمَ التوحيد أشرف العلوم، بل هو أصلُ العلوم وما سواه فرعٌ؛ لأنَّه يتعلقُ بمعرفة الله تعالىٰ ويتعلقُ بذاتِ الله وصفاتِه وأسمائِه، وهو كذلك يبحثُ في أركانِ الإيمان.

الحكم: ثلاثةُ أقسامٍ

١- شرعيٌ: وهو ما اقتضاهُ خطابُ الشرعِ، المتعلقُ بأفعال المكلفين من طلبٍ، أو تخييرٍ، أو وضعٍ.

٢- عقليٌ: وهو إثباتُ أمرٍ لأمرٍ أو نفيه عنه، مِنْ غيرِ توقفٍ علىٰ تكرارٍ، ولا وضعِ واضعٍ، مثل: ١ + ١ = ٢

٣- عاديٌ: وهو إثباتُ أمرٍ لأمرٍ أو نفيه عنه، بواسطةِ التكرار، كالحكمُ علىٰ النّار بأنّها محرقة.

الأحكامُ الشرعية: قسمان

١- تكليفيةٌ: وهي خمسةٌ: الواجبُ، والمحرَّمُ، والمندوبُ، والمكروهُ، والمباحُ.

٢- وضعيةٌ: وهي جعلُ الشيءِ سببًا، أو شرطًا، أو مانعًا، أو صحيحًا، أو فاسداً.

الأحكام العقلية: ثلاثة

١- الواجب: وهو ما لا يُتصور في العقل عدمُه، مثل: وجود الخالق سبحانه.

٢- المستحيل: وهو ما لا يُتصور في العقل وجوده، مثل: الشريك لله تعالىٰ.

٣- الجائز: وهو ما يُتصور في العقل وجوده وعدمُه، مثل: حياة فلان أو موته.

معرفة الله واجبةٌ شرعـًا لا عقلاً، وعليه جمهور أهل السنة والجماعة، فأهل الفترة ناجون لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء:١٥].

والمعتزلة وبعض الماتريدية يقولون: معرفة الله تعالىٰ واجبةٌ عقلاً، وأهل الفترة مكلّفون بمعرفة الله، وإنْ لم يرد شرعٌ، ولم يأتِ نبيٌّ، ولم ينزَّل كتابٌ، ولم يجئْ وحيٌ.

والأشاعرة يقولون: معرفةُ الله وسائر الأحكامِ وجبت بالشرعِ لكنْ بشرطِ العقل.

والماتريدية يقولون: معرفةُ الله وجبت بالعقلِ، وسائرُ الأحكام بالشرع.

والمعتزلة يقولون: معرفةُ الله، والأحكامُ وجبت بالعقل.

شروط التكليف: أربعة

البلوغُ، والعقلُ، وبلوغُ الدعوة، وسلامةُ الحسِّ.

فالصبي ليس بمكلَّف، فمَن مات قبل البلوغ فهو ناجٍ ولو مِن أولاد الكفار، وإنّما المكلَّفُ وليُّ الصبي بتعليمه الفرائضَ والسنن ليفعلها، وبيان المحرمات والمكروهاتِ ليجتَنبها.

والمجنونُ ليس بمكلّفٍ، لكنْ محلُّ ذلك إنْ بلغ مجنونـًا واستمرَّ علىٰ ذلك حتىٰ مات، بخلاف ما لو بلغ عاقلاً ثُمَّ جُنَّ، وكان غير مؤمن ومات كذلك فهو غير ناج.

والذي لم تبلغه الدعوة ليس بمكلّف، بأنْ نَشَأ في شاهقِ جبلٍ، أو في جزيرةٍ، ولم يرَ أحداً، ولم تبلغه الدعوة.

ولذا فإنَّ المذهبَ الحقّ أنَّ أهلَ الفترةِ ناجونَ، وهم: الذين لم يُرسل إليهم رسولٌ، ويُطلقون -علىٰ الأكثر- عَلَىٰ الذين كانوا بين عيسىٰ ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

فإن قيل: أخبر ﷺ بأنَّ جماعةً من أهل الفترةِ في النَّار؟! كامرئ القيس وحاتم الطائي وبعض آباء الصحابة.

فالجوابُ: إنَّ أحاديثَ هؤلاء استثناءٌ من أهل الفترة لأمرٍ يَختصُّ بهم.

وغير سليم الحواسّ -مِمَّا يمتنع معه عَقْلُ الخطاب- ليس بمكلّف، كمَنْ خُلِقَ أعمىٰ أصمّ أبكم، أو أعمىٰ أصمّ، بخلافِ مَنْ خُلِقَ أعمىٰ فقط، أو خُلقَ أصمّ فقط فإنّه مكلّف.

معنىٰ معرفة الله عز وجل

معرفة ما يجبُ لله سبحانه، وما يستحيل علىٰ الله سبحانه، وما يجوز في حقّه سبحانه، وبتعبيرٍ آخَر: معرفةُ صفاتِه وسائرِ أحكامِ الألوهيةِ والربوبيةِ.

ولا بدَّ بعد المعرفة من الإيمانِ وهو: الإذعانُ الناشئُ عن التصديق والقَبول، والإيمان يكونُ عن علمٍ، ويكونُ عن تقليدٍ، والعلمُ لأصحاب الأدلة، والتقليدُ للعوام.

ومعنىٰ الإيمان عن تقليدٍ: الأخذُ بقول الشيخِ من غير دليل.

والتقليد في العقائدِ جائزٌ لغير القادر علىٰ معرفةِ الدليل، كما هو جائزٌ في الأحكام لعموم قوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣].

[الإيمان]

والإيمان: قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، واعتقادٌ بالجَنان.

والمراد بالقول باللسان: النطقُ بالشهادتين، وهو شرط لإجراء أحكام المؤمنين علىٰ الكافر إذا أسلم: من التوارثِ، والتناكحِ، والصلاةِ عليه، والصلاةِ خلفه، والدفنِ في مقابر المسلمين، ومطالبتِه بالصلوات والزكواتِ، وغير ذلك.

ومن صَدَّق بقلبه ولم يُقِرَّ بلسانه، لا لعذرٍ مَنَعَه، ولا لإباءٍ بل اتَّفَقَ له ذلك فهو مؤمنٌ عندَ الله، غيرُ مؤمنٍ في الأحكام الدنيوية.

فيخرجُ المعذورُ كالأبكمِ مع وجود قرينةٍ تدل علىٰ إيمانهِ، وكَمَنْ اخترمتْهُ المنيةُ قبل النطقِ من غيرِ تراخٍ فهو مؤمنٌ في الدنيا والآخرة.

ويخرجُ الآبِي عن النطقِ بالشهادتين فهو كافرٌ في الدنيا والآخرة.

والمراد بالعمل: الخضوع لهُ، والانقياد، والإذعان القلبي، فمَن استحلَّ المُحرَّمَ، أو عاندَ الشرعَ، فهو كافرٌ فيما عُلِمَ من الدِّين بالضرورة. وأما العمل مع الخضوع له والإذعان فهو شرط كمال.

ويخرج بالاعتقاد بالجَنان: مَن أقرَّ بلسانه ولم يصدّق بقلبه فهو المنافق، تجري عليه الأحكام الدنيوية، وهو غيرُ مؤمنٍ عند الله.

[الإسلام]

الإسلام: هو ما جاء به النبي ﷺ من عند الله سبحانه وتعالىٰ.

أو: ما شرعه الله علىٰ لسان نبيه ﷺ.

أو: ما جاء به النّبيون من عند الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عِمرَان:١٩].

أمور الدِّين أربعة

الصحةُ بالعقد، وصدقُ القصد، والوفاءُ بالعهد، واجتنابُ الحدّ.

١- الصحةُ بالعقد: الجزم بعقائد أهل السنة.

٢- صدقُ القصد: العبادة بالنية، والعمل بالإخلاص(١).

٣- الوفاءُ بالعهد: امتثال ما أمر الله به.

٤- اجتنابُ الحدِّ: ترك ما نهىٰ الله عنه.

ما يشتمل عليه الدِّين

العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والأخوّة، والحكم بما أنزل الله.

شبَّه بعضهم الإسلام ببيت: أساسُه العقائدُ، تقومُ عليه أربعُ جدران: العباداتُ، والمعاملاتُ (تشريع وأنظمة)، والأخلاقُ، والأخوّةُ، وسقفٌ يحكمها جميعًا هُوَ الحُكْمُ.

---

(١) العبادة بالنية: قال ﷺ: ((إنما الأعمال بالنيات))[متفق عليه] فسر الحديثَ علماءٌ ثقات فقالوا: إنّ صحة الأعمال بالنيات فلا يصح عمل بلا نية، وفسَّر الحديثَ علماءٌ آخرون فقالوا: إنّ ثواب الأعمال بالنيات؛ فلا يثاب علىٰ العمل بدون نية. المؤلف

العمل بالإخلاص: فالإخلاص شرط للقبول فلا يقبل عملٌ إلا أن يكون خالصًا لوجهه الكريم سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[البينة:٥]. المؤلف

وفي الحديث عن أبي أُمامة الباهلي ﷺ قال: قال ﷺ: ((لَتُنْقَضَنَّ عُرىٰ الإسلام عروةً عروةً، فكلَّما انتقضَت عُروةٌ تشبَّثَ النَّاس بالتي تليها، فأولُهُنَّ نقضاً الحُكْم، وآخِرُهُنّ الصلاة))[1].

الإسلام والإيمان

الإسلام: التسليم الظاهر (الانقياد والإذعان) لما جاء به النبي ﷺ.

أركانه خمسة: شهادةُ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

وقد عَرَّفَ الرسول ﷺ الإسلامَ في حديث معاوية بن حَيدة ﷺ: ((أَنْ يَسْلَمَ قلبُك للهِ، وأنْ يَسْلَم المسلمونَ من لسانك ويدك))[2]. وعرَّفه أيضاً بأركانه في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام.

وَعرَّفَ ﷺ المسلم في الحديث فقال: ((المسلمُ مَن سَلِمَ المسلمون من لسانِهِ ويده))[3] فعرَّفَ المسلم بأبرز صفةٍ من صفاتِه.

---

(١) الإمام أحمد (٢٢٢١٤).

(٢) الإمام أحمد (٢٠٠٣٦).

(٣) أصل الحديث: ((المسلمُ مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمِنَه الناس علىٰ دمائهم وأموالهم))، قال الحاكم في المستدرك في زيادة المؤمن: ولم يخرجا هذه الزيادة وهي صحيحة علىٰ شرط مسلم.

الإيمان: التصديقُ القلبي (اليقين الصَّادق) بما جاء به النبي ﷺ، والمراد الإذعان لما جاء به والقبول له.

أركانه ستة: الإيمان بالله تعالىٰ، وملائكتِه، وكتبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخر، والقدرِ خيرِه وشرِّه.

وقد عرَّف رسول الله ﷺ الإيمانَ بأركانه في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام.

وعرَّف المؤمنَ في الحديث بقوله ﷺ: ((المؤمنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاس علىٰ دمائهم وأموالهم))[1]، فعرَّفه بأهمِّ صفةٍ مِنَ صفاته وهي الأمانة.

وفي حديث أنس رضي الله عنه قلّما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: ((لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له))[2].

وعلىٰ ما تقدَّمَ:

فالإسلام: الامتثالُ والانقيادُ الظاهري للعمل الصالح، أي الامتثالُ بكلّ ما جاء به الإسلام، كالصّلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك وعدم الإنكار والجحود، عَمِلَ أو لَم يَعْمَل، والنطق دليلٌ عليه.

والإيمانُ: التصديقُ القلبي، والنطق دليلٌ عليه، والامتثالُ والانقياد الظاهري دليلٌ عليه.

---

(١) سبق تخريجه من حديث معاوية بن حَيدة رضي الله عنه.

(٢)الإمام أحمد (١٣١٩٩) وابن حبان (١٩٤).

فصحَّ أنْ يُقَال: الإسلامُ قولٌ وعملٌ، وهذان لا بدَّ منهما في الإيمان، فصحَّ أنْ يُقالَ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ واعتقادٌ.

ولا يكون المؤمنُ إلا مسلمـًا، فكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ، ولا عكس.

وأما إطلاق الشَّرع عليهما فالحقُّ أنَّهما وردا:

أولاً: علىٰ سبيل الترادف والتوارد بأنْ جعلَ الإسلام التسليم بالقلبِ والظاهرِ جميعـًا، وكذلك الإيمان بعد تعميمه بإدخال الظاهر في معناه، ودليل هذا الاستعمال قوله تعالىٰ: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦﴾[الذاريات] ولم يكن بالاتفاق إلا بيتٌ واحد (لوط ﷺ وبناته).

وقال تعالىٰ أيضـًا: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾[يونس:٨٤].

ثانيـًا: علىٰ سبيل الاختلاف بأنْ جعل الإسلام عبارةً عن التسليم ظاهراً، والإيمان عبارةً عن التصديق بالقلب فقط، ودليله قوله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾[الحُجرَات:١٤].

ثالثـًا: علىٰ سبيل التداخلِ بأنْ جُعلَ الإسلامُ عبارةً عن التسليم بالقلبِ والقول والعمل، والإيمانُ عبارةً عن بعض ما دخل في الإسلام وهو التصديقُ بالقلب فقط، ودليله: حديث

عمرو بن عَبسَة ﷺ قال: سُئِل ﷺ: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال ﷺ: ((الإسلام))، فقيل: أي الإسلام أفضل؟ فقال ﷺ: ((الإيمان))[1].

[الإيمان يزيد ونقص]

ورجّحَ الجمهورُ القولَ بأنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ بسبب العملِ، ونصوصُ القرآن والسنة واضحةٌ بهذا، مِنها قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[الأنفال:٢]، ومنها حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً، أو بضعٌ وستونَ شعبةً، فأفضلُها لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذىٰ عن الطّريق))[2].

معنىٰ الإيمان بالله تعالىٰ إجمالاً: أن نعتقدَ أنَّ الله تعالىٰ متصفٌ بكل كمالٍ، ومنزَّهٌ عن كلِّ نقصان.

معنىٰ الإيمانُ بالله تعالىٰ تفصيلاً: أن نعتقدَ أنَّ الله تعالىٰ متصفٌ بما وصف به نفسه في كتابه الكريم، وبما وصفَه به نبيه ﷺ، مع نفي التشبيهِ لهُ بخلقِه قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[الإخلاص:٤].

---

(١) الإمام أحمد (١٧٠٦٨).

(٢) مسلم (٣٥).

العقيدةُ الإسلامية أربعةُ أقسام رئيسة

١- الإلهيات: وتشمل الصِّفات، والأسماء.

والصِّفات: صفاتُ ذاتٍ، وصفاتُ أفعالٍ.

٢- النُّبُوَّاتُ: الأنبياءُ، الرسل، صفاتهم، معجزاتهم، كتبهم، ويُلحق بذلك الأولياء والكرامات.

٣- الروحانيات: الملائكة، والجنّ، والروح.

٤- السمعيات: وهي قسمان:

القسم الأول: علامات الساعة مثل: البرزخ، البعث، الحشر، الحساب، الميزان، الصّراط، الجنّة، النّار.

القسم الثاني: القضاءُ والقدرُ.

قسم الإلهيات

أسماء الله وصفاته

أسماءُ اللهِ وصفاتهُ توقيفيّةٌ، وقد أجمعَ أهل السّنّة علىٰ منع كلّ إطلاقٍ لم تَرِدْ به الشريعة، سواءٌ كان في حقِّ الله تعالىٰ، أو في حقِّ أنبيائِه عليهم الصلاة والسلام، أو في حقِّ دينِه.

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري: (وما أطلق الشرع في حقِّه تعالىٰ، أو في حقِّ أنبيائه أو في حقِّ دينه أطلقناه، وما منع منعناه، وما لم يَرِدْ فيه إذنٌ ولا منعٌ ألحقناه بالممنوع حتىٰ يَرِدَ الإذن في إطلاقه).

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: (وما لم يَرِدْ فيه إذنٌ ولا منعٌ؛ نظرنا فيه، فإن أَوْهَمَ ما يمتنع في حقِّه تعالىٰ منعناه، وإن لم يُوهِمْ شيئًا من ذلك رَدَدْنَاه إلىٰ البراءة الأصلية، ولم نحكم فيه بمنعٍ ولا إباحة).

فأنتَ ترىٰ أنه اتفق الإمامان علىٰ منع كلِّ إطلاقٍ يوهم محظوراً في حقِّ الله تعالىٰ، وتبعهما العلماء علىٰ ذلك قاطبة.

أسماء الله تعالىٰ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: ((لله تسعة وتسعون اسمًا مائةً إلا واحداً، لا يحفظها أحدٌ إلا دخل الجنة، وهو وُتْرٌ يحبّ الوِتْرَ))[1]، وفي رواية للبخاري: ((مَن أَحْصَاها دخل الجنَّة))[2].

ورواه الترمذي[3] وابن حبان والحاكم، بسند غريب للترمذي ولغيره بسند صحيح، بزيادة: ((هو الله الذي لا إله إلا هو الله[4] الرحمن، الرحيم، الملِك، القُدُّوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبّر، الخالق، البارئ، المصوِّر، الغفَّار، القهَّار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المُعِزّ، المُذِلّ، السميع، البصير، الحَكَمُ، العَدْل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العليُّ، الكبير، الحفيظ، المُقِيتُ، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المُقدِّم، المُؤخِّر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البَرُّ، التواب، المنتقم، العَفُوُّ، الرؤوف، مالك

---

(١) مسلم (٢٦٧٧).

(٢) البخاري (٧٣٩٢).

(٣) الترمذي (٣٥٠٧).

(٤) الله: علم علىٰ الذات العلية الواجب الوجود دائمًا. (المؤلف).

الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضّارُّ، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور).

وهذه الأسماء ليست كل ما ورد بل وردت الأحاديث بغيرها مثل: ((الحنان، المنّان، البديع، المغيث، ذو الطَّول، ذو المعارج، ذو الفضل، الخلاَّق)).

قال الغزالي رحمه الله[1]: (إنَّ أسماء الله تعالىٰ من حيثُ التوقيف غير مقصورة علىٰ تسعة وتسعينَ اسمـًا، بل ورد التوقيفُ بِأَسَامٍ سواها، إذ في رواية أُخرىٰ عن أبي هريرة ﷺ إبدال بعضِ هذه الأسامي بما يَقْرُب مِنْها، وإبدالٌ بما لا يَقْرُب.

فأما الذي يقرب فالأَحد بدل الواحدُ، والقاهرُ بدل القهّار، والشاكرُ بدل الشكور، والذي لا يقرب كالهادي، والكافي، والدائم، والبصير، والنُّور، والمبين، والجميل، والصادق، والمحيط، والقريب، والقديم، والوتر، والفاطر، والعلام، والمليك، والأكرم، والمدبر، والرفيع، وذي الطول، وذي المعارج، وذي الفضل، والخلاق.

وقد وردَ أيضـًا في القرآن ما ليس متفقـًا عليه في الروايتين جميعـًا كالمولىٰ، والنصير، والغالب، والقريب، والرب، والناصر. ومن المضافات، كقوله: شديدُ العقاب، وقابلُ التوب، وغافرُ الذنب، ومولجُ الليل في النهار، ومولجُ النهار في الليل، ومخرجُ الحيّ من الميت، ومخرجُ الميت من الحيّ.

(١) المقصد الأسنىٰ: ص١٦٤.

وقد ورد في الخبر أيضا: السيد، إذ قال رجل لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: يا سيد. فقال: ((السيد الله تبارك وتعالىٰ))، وكأنه قصد المدح في الوجه[1]، وإلا فقد قال ﷺ: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))[2].

والديان أيضا قد ورد، وكذلك الحنان، والمنان.

ومما وقع عليه الاتفاق بين العلماء والفقهاء من الأسماء: (المريد، والمتكلم، والموجود، والشيء، والذات، والأزلي، والأبدي)، وإن ذلك مما يجوز إطلاقه في حق الله تعالىٰ.

وقد رأيت مَن زاد أسماء أخرىٰ ربما كان مكرراً بعضها مع ما سبق وهي: المولىٰ، الصادق، المحيط، القريب، الأكرم، القديم، المُدبِّر، الجميل، الصانع، الديان، سبوح، الرب، الشَّافي، القدير، الغالب، ذو الطول، كاشف الضر، مالك الأملاك، الجواد، الفاطر، البادئ، النصير، الناصر، المغيث، الوتر، المبين، الحافظ، الدائم، الحنان، المنان، الستار، الكفيل. ا.هـ. من كلام الغزالي.

تفسير الأسماء باختصار

الرحمنُ: المنعمُ بجلائلِ النِّعَمِ.

الرحيمُ: المنعمُ بدقائقِ النِّعمِ.

المَلِكُ: ذو المُلْكِ المتصرّفِ في كلِّ ملْكِه كما يشاء.

---

(١) أبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي (١٠٠٠٣)، والإمام أحمد (١٦٣٥٠).

(٢) الترمذي (٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، والإمام أحمد (١٠٩٨٧).

القُدُّوسُ: المطهَّر، والمُنزَّه عن صفات النقص والحدوث.

السَّلامُ: ذو السَّلامِ من كلِّ نقصٍ وآفةٍ، في ذاتهِ وصفاتِه وأفعالِه، أو معطي السَّلامِ والأمن لِمَن يشاء.

المُؤْمنُ: المصدِّقُ لرُسُلِهِ بالمعجزاتِ، أو المعطي الأمانَ لمن يشاء.

المُهَيمِنُ: الرقيبُ المبالِغُ في الرقابةِ والحفظِ، فهو العالِمُ الشَّاهِدُ لا يغيبُ عنه مثقالُ ذرةٍ ولا أصغر منها.

العزيزُ: الغالبُ الذي لا يُغْلَب.

الجَبَّارُ: المصْلِحُ لأمور عباده، المتكفِّلُ بمصالِحهِم، أو المتعالي من أنْ ينالُه كيدُ كائدٍ.

المُتكَبِّرُ: ذُو الكِبْرِيَاء.

الخَالقُ: الموجِدُ للمخلوقاتِ مِنْ غيرِ أَصلٍ.

البَارئُ: الموجدُ لها مِنْ أَصْلٍ.

المُصَوِّرُ: المبدعُ لصورِ الأشياءِ، لكلِّ شيءٍ صورة تميِّزه عن غيره.

الغَفَّارُ: كثيرُ المغفِرَة.

القَهَّارُ: الخَلْقُ في قبضتِه، وَمُسَخَّرٌ لقضائِه.

الوَهَّابُ: كثيرُ الهِبَاتِ.

الرَّزَّاقُ: خالقُ الأرزاقِ، ومفيضُها علىٰ العباد.

الفتَّاحُ: الحاكمُ بين العباد، أو الناصرُ لمن شاءَ، أو مَنْ يفتحُ خزائنَ رحمتهِ لعبادِه.

العليمُ: الذي عَلِمَ ما كان، وما يكون، أولاً وآخراً، ظاهراً وباطنًا.

القابضُ: مُضيِّقُ الرزق علىٰ مَنْ يَشاء.

الباسطُ: موسِّعُ الرزق علىٰ مَنْ يَشاء.

الخافضُ: يخفضُ مَنْ يشاء مِنَ الكفَّار والفجَّار.

الرَّافعُ: يرفع مَنْ يشاء-يرفعُ الأبرارَ.

المُعِزَّ: يُعِزُّ مَنْ يشاء – يعز المؤمنين بطاعته.

المذِلُّ: يذلُّ مَنْ يشاء – يذل الكافر – يهدد العصاة معصيتهم.

السميعُ: يدركُ بسمعهِ الموجودات بدون حاسّةٍ.

البصيرُ: يدركُ كلَّ شيءٍ ببصرِه بدون حاسّةٍ.

الحَكَمُ: الذي لا مردَّ لقضائِهِ، ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِهِ.

العَدْلُ: العادلُ المبالغُ في العدل.

اللَّطيفُ: بعلمه، فهوَ يعلم خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدور، لطيفٌ بأوليائِهِ يُيَسِّرُهُم لليُسْرَىٰ، وَيَجَنِّبهُمُ العُسْرىٰ، لطيفٌ بعبادِهِ.

الخَبيرُ: العالمُ ببواطنِ الأمورِ.

الحليمُ: لا يَعْجَلُ بالعقوبةِ.

العَظيمُ: البالغُ أقصىٰ مراتبِ العَظَمَةِ.

الغَفُور: كثيرُ الغُفْرَانِ.

الشَّكورُ: الذي يُعطِي الجزيلَ علىٰ العملِ القليلِ.

العليُّ: البالغُ علوَّ الرتبةِ بلا نهاية.

الكبيرُ: في كلِّ شيءٍ، فله الكبرياءُ والعظمةُ.

الحفيظُ: الذي يحفظُ الأشياءَ مِنَ الزَّوال والاختلالِ، ما شاء ذلك، أو يحفظُ علىٰ العبيدِ أعمالَهم ليجْزِيَهُم عليها.

المُقِيتُ: خالقُ الأقواتِ وموصلُهَا إلىٰ مُقْتَاتِهَا، أو المقيتُ بمعنىٰ المقتدرُ، وقيل: المقيتُ الحفيظُ.

الحسيبُ: الكافي لعباده، أو الذي يحاسب عباده يوم القيامة.

الجليلُ: الكامل في الصفاتِ، والعظيم، وله الجلال.

الكريمُ: يعطي مِنْ غيرِ عِوَضْ.

الرقيبُ: الذي يُراقِبُ الأشياءَ ويلاحظُهَا، فلا يغيبُ عنه مثقالُ ذرةٍ.

المجيبُ: مَنْ دَعَاهُ.

الواسعُ: المحيط بكلِّ شيءٍ علمـًا، أو الجوادُ الذي عمَّتْ رحمتُهُ.

الحكيمُ: ذو الحكمةِ يضعُ الأمورَ مواضِعَهَا.

الودودُ: المحبُّ الخيرَ لكلِّ خلقِهِ، بمعنىٰ الوَادّ، ويكون بمعنىٰ المودود: المحبوب لأنبيائِه ورسلِه وأوليائِه.

المجيدُ: لكثرة صفاته المجيدة.

الباعثُ: للرسل، وباعثُ مَنْ في القبور.

الشهيدُ: المطَّلِعُ علىٰ كلِّ شيءٍ.

الحقُّ: الثابتُ الذي لا يتحولُ، أو المُظْهِرُ للحَقِّ.

الوكيلُ: القائمُ بأمورِ عبادِهِ.

القويُّ: لهُ كمالُ القوةِ وهوَ ذو القُدْرَةِ.

المتينُ: لهُ كمالُ القدرةِ والقوةِ.

الوليُّ: المتولي أمرَ خَلقِه.

الحميدُ: لكَثرة صفاتِه الحميدة. المحمودُ المستحقُّ لكلِّ ثناءٍ.

المُحْصِي: الذي أَحصىٰ بعلمِه كلَّ شيءٍ.

المُبْدِئُ: الذي أَظهر الأشياءَ منَ العَدَمِ .

المعيدُ: الذي يعيدُها بعدَ العَدَم.

المحييّ: الذي خلقَ الحياةَ في كلِّ حيّ.

المُمِيتُ: الذي خلقَ الموت في كلِّ مَنْ أَمَاتَه.

الحَيُّ: المتصف بالحياةِ، وحياتُه لذاتِه بدون رُوحٍ .

القَيُّومُ: القائمُ بنفسِهِ، والمقيمُ لغيره.

الواجدُ: الغنيُّ المطْلَق.

الماجدُ: ذو المجدِ.

الواحدُ: المتصفَ بالوحدانية.

الأحدَ: لا ثانيَ له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

الصَّمَدُ: المقصودُ بالحوائجِ ، وَيُفْزَعُ إليهِ بالشَّدَائِدِ.

القادِرُ: المتصفُ بالقدرة.

المُقْتَدِرُ: ذو القدرةِ البالغة.

المقدِّمُ: يقَدِّمُ مَنْ يَشاء.

المُؤَخِّرُ: يُؤَخِّرُ مَنْ يَشاء.

الأوَّلُ: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: ((أنتَ الأوَّلُ فليسَ قبلكَ شيءٌ))[1]، لا أوَّلَ لوجودِه، هو أوَّلٌ بلا بِدَايَةَ.

الآخِرُ: عن رسول الله ﷺ: ((وأنت الآخِرُ فليسَ بعدَكَ شيءٌ)) لا آخِرَ لوجودِه، فهو آخرٌ بلا نِهايَة.

الظَّاهرُ: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: ((وأنتَ الظاهرُ فليسَ فوقكَ شيءٌ))[2] الجليُّ وجودُه بآياتِه الباهرة، قال البخاري: (الظاهر علىٰ كلِّ شيءٍ عِلمًا)[3].

الباطن: قال ﷺ: ((وأنت الباطن فليس دونك شيء))[4] الخفيّ بكنه ذاته عن مخلوقاته. قال البخاري: (الباطن علىٰ كلِّ شيءٍ عِلمًا).

الوالي: يَتولَّىٰ كلَّ شيءٍ ويمْلِكُهُ.

المتعالِي: عنِ النقائصِ، المنزَّهُ عمَّا يقولُ المشركون.

البَرُّ: المُحْسِن.

التَّوابُ: الذي يَقْبَلُ التوبةَ عن عباده بعدَ أنْ وفَّقَهُم لها.

المنْتَقِمُ: المعاقبُ لمَنْ يَستحقُ العقوبة.

العَفُوُّ: كثيرُ العفو عن ذنوبِ عباده، يمحو السيئاتِ، فهو أبلغُ من الغفور لأنَّ الغَفْرَ السَتْرَ.

الرؤُوفُ: شديدُ الرأفةِ والرحمةِ.

---

(١) مسلم (٢٧١٣).

(٢) مسلم (٢٧١٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: سورة الحديد.

(٤) مسلم (٢٧١٣).

مالكُ الملكِ: الذي يُجْري في ملكِهِ ما يشاءُ.

ذو الجَلالِ والإكْرَام: الذي لا شَرَفَ ولا كَمَالَ إلاَّ لهُ وحدَه، ولا كرامةَ ولا مَكْرُمةَ إلا مِنْه سبحانه وتعالىٰ.

المقْسِطُ: العَادل.

الجامعُ: جامعُ النَّاس ليومٍ لا ريبَ فيه.

الغَنِيُّ: بذاتِه عن جميعِ المخلوقاتِ.

المُغْنِي: لِمَخْلُوقَاتِه.

المانعُ: يمنعُ مَنْ يشاء، ويدفعُ الهلاكَ عمَّنْ يَشَاءُ.

الضَّارُّ: يَضُرُّ مَنْ يشاء وِفْقَ حِكْمَتِه.

النَافعُ: ينفعُ مَنْ يشاءُ وِفْقَ حِكْمَتِه.

النُّورُ: الظَّاهرُ بنفسهِ، المُظْهِرُ لغيره.

الهَادي: الذي أَعطَىٰ كلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثمَّ هَدَىٰ، أوِ الهادي إلىٰ الطريقِ المستقيم.

البديعُ: المُبْدِعُ لكلِّ شيءٍ مِنَ العدم.

الباقي: الدائمُ الوجودِ فلا يَناله فناءٌ.

الوارثُ: الذي يرِثُ كلَّ شيءٍ بعد فناء العوالِم.

الرشيدُ: الذي أقوالُه رُشْدٌ، وأفعالُه رُشْدٌ، وهو مرشِدُ الخَلْقِ.

الصّبُور: علىٰ المحاربينَ لهُ ولرسله، يبارِزُونَه بالمعاصي ويرزُقهُم.

صفات الله سبحانه وتعالىٰ

قد ذكرَ العلماءُ بأَنَّهُ يَجِبُ في حقه سبحانه وتعالىٰ عشرون صِفَةً:

صفةٌ نفسيةٌ، وخمسٌ سلبيةٌ، وسبعٌ معاني، وسبعٌ معنويةٌ.

الصّفة النفسية:

صفةُ الوجودِ: ومعناها: أنَّ ذاتَ الله موجودةٌ، ووجودُه لذاته غيرُ مفتقرٍ لغيره سبحانه وتعالىٰ.

لا يحْتَاجُ لمحلٍّ ولا مُخَصِّصٍ، أي: لا يحتاجُ لمكانٍ ولا مُوجدٍ، فهو غنيٌّ عن كلِّ ما سواهُ، مفتقرٌ إليه كلُّ ما عدَاهُ.

وضدُّه: العَدَمُ وهو مستحيلٌ علىٰ الله.

الدليلُ علىٰ وجودهِ: وجودُ هذه المخلوقات[1].

الصَّفات السَّلبية:

خمسةٌ: القِدَمُ- البَقَاءُ- المخالفةُ للحوادث- القيامُ بالنّفس- الوحدانيةُ.

سمّيت سلبية لأنها تفسر بالسلب أي النفي، فهي صفات عدمية تسلب من الذهن أضدادها.

١- **القِدم**: لا أوَّلَ لوجوده، وضدُّه: الحدوثُ وهو مستحيل علىٰ الله تعالىٰ.

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[الطور:٣٥].

٢- **البقاءُ**: لا آخرَ لوجودِهِ، وضدُّه: الفناءُ وهو مستحيلٌ علىٰ الله تعالىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد:٣].

وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾[الرحمن].

وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾[القَصَص:٨٨].

ملاحظتان:

أ. عَدْمُنا في الأزل لا أوَّلَ لهُ وله آخرٌ.

ب. المخلوقاتُ لها أولٌ، ولها آخرٌ، ما عدا نعيمَ الجنَّةِ وعذابَ النَّار فلهما أول، وليس لهما آخر، فكل منها باق لكن شرعًا لا عقلا، وهو مما علم من الدين بالضرورة.

٣- **المخالفةُ للحوادث**: لا شبيهَ له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فليسَ لأحدٍ ذاتٌ مثلَ ذاته، ولا صفةٌ مثلَ صفتِهِ، ولا فعلٌ مثلَ فعلِه.

قال تعالىٰ: : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[الإخلاص:٤].

والمخالفةُ للحوادثِ تنفي:

- الجُرميَّةَ ولازِمَهَا: التحيزَ،
- والعَرَضِيَّةَ ولازِمَهَا: القيامَ بالغير،
- والكُلِّيَّةَ ولازِمَهَا: الكِبَرُ،
- والجزْئِيَةَ ولازِمَهَا: الصِغَرَ،
- إلىٰ غير ذلك من صفات المخلوقاتِ: كالجهةِ والحركةِ والسكونِ.

فهوَ سبحانه ليسَ بِجِسْمٍ، وكل جسم مؤلف من جواهر، وكل جوهر متميز لا يخلو أن يكون ساكنا أو متحركا. وهوَ سبحانه ليسَ بِعَرَضٍ لأنَّ العَرَضَ محتاجٌ لجسمٍ يقومُ به. وإذا جاءَ نصٌّ صفةٍ من هذه الصفاتِ أو غيرها فنقولُ: صفةُ الخالقِ غير صفةِ المخلوقِ، والله أعلم.

ويستحيلُ علىٰ اللهِ: الشبيهُ، والمثيلُ، والمُمَاثِلُ.

٤- **القيام بالنفسِ**: لا يَحْتَاجُ إلىٰ محَلٍّ ولا مُخَصِّصٍ أي: لا يفتقرُ إلىٰ ذاتٍ يقومُ بها، ولا مُوجِدٍ يوجدُ بِه، إذْ إنَّهُ القديمُ الأوَّلُ والغنيُّ المُطْلَقُ الذي لا يَفتَقِرُ إلىٰ غيره أزلاً وأبداً، ويَفْتَقِرُ إليه كلُّ ما سِوَاه.

قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥].

٥- **الوحدانيّةُ**: لا ثانيَ له في ذاتِه، ولا في صفاتِهِ، ولا في أفعالِهِ.

قال تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢].

ومِن أَظْهَرِ أَدلَّةِ الوحدانية: وَحْدَةُ نظَامِ الكون.

والتوحيدُ: توحيد الربوبية: وهو متفقٌ عليه، لا خالقَ إلا الله.

ويلزم منه:

- توحيدُ الألوهية: فلا يستحقُ العبادةَ إلا الله. ومن اعتقدَ أنَّه لا يستحقُ العبادةَ غيرُه كان ذلك بناءً علىٰ أنَّه لا ربَّ غيرَهُ، ومَنْ أَشْرَكَ مع اللهِ غيرَه في العبادةِ كانَ لا محالةَ قائلاً بربوبيةِ ذلك الغير.
- وتوحيدُ الأسماءِ والصفاتِ هو مِنَ الوحدانية.

- وتَوحِيدُ الخَلْقِ كذلكَ، فلا خالقَ إلا الله، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾[الحَجّ:٧٣].

فاللهُ واحدٌ في ذاتِه، واحدٌ في صفاتِه، واحدٌ في أفعالِه، ويستحيلُ ضدُّ ذلكَ.

صفاتُ المعاني:

سبعٌ: الحياةُ، العلمُ، القدرةُ، الإرادةُ، السمعُ، البَصَرُ، الكلامُ.

ويلزم من اتصافه بها الصفات المعنوية، وهي: كونه تعالىٰ عالـمًا حيًا قادرًا مريدًا سميعًا بصيرًا متكلمًا.

١- **الحياة:** صفةٌ أزليةٌ قائمةٌ بذاتِه تعالىٰ، تقتضي صحةَ الاتصافِ بالعِلمِ وغيرِه من الصِّفاتِ الواجبةِ، وحَياتُه ليست بِرُوح.

وحيثُ وجبت له صفةُ الحياةِ فهُوَ حيٌّ.

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[البَقَرَة:٢٥٥].

٢- **العلم:** صفةٌ أزليةٌ قائمةٌ بذاتِه تعالىٰ، تتعلقُ بالواجباتِ والجائزاتِ والمستحيلاتِ، تعلُّقَ انكشافٍ علىٰ وجهِ الإحاطةِ علىٰ ما هِيَ عليهِ مِنْ غيرِ سَبْقِ خَفَاء.

وحيثُ وجبت له صفةُ العلمِ فهو عالمٌ، يعلمُ ما كانَ وما يكونُ وما سيكونُ.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[آل عِمرَان:٥]، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[غَافِر:١٩].

٣- **القدرةُ:** صفةٌ أزليةٌ قائمةٌ بذاتِه تعالىٰ، يَتَأَتَّىٰ بها إيجادُ كلِّ مُمْكِنٍ وإعدامُه وِفْقَ الإرادةِ.

وهذا التعريفُ وسائرُ التعاريفِ للصِّفاتِ الواجبة لا يتناولُ الحقيقةَ؛ لأنَّه لا يَعلم كُنْهَ ذاتِه ولا كُنْهَ صِفَاتِه إلا هُوَ سُبحَانه وتعالىٰ.

ولا تتعلقُ القدرةُ بالواجباتِ ولا بالمستحيلاتِ؛ لأنَّهمَا خارجان عن وظيفتِها، لا لعجزٍ فيهِ سبحانه وتعالىٰ.

وحيثُ وجبت له صفةُ القدرةِ فهو قادرٌ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[المَائدة:١٢٠].

والقدرةُ تُبْرِزُ ما خَصَّصَهُ اللهُ بإرادَتِهِ أزلاً ﴿يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[النُّور:٤٥].

٤- **الإرادةُ**: صفةٌ أزليةٌ قائمةٌ بذاتِه تعالىٰ تُخَصِّصُ الممكنَ ببعضِ ما يجوزُ عليهِ علىٰ وِفْقِ العِلمِ، مثل: الوجود أو العدم، كونُه في زمن مضىٰ، كونُهُ أسوداً أو أبيضَ، كونُه طويلاً أو قصيراً، في المشرقِ أو المغربِ. ولا تتعلقُ بالواجبِ والمستحيلِ.

والمشيئةُ مرادفةٌ للإرادةِ، والممكنُ يشملُ الخيرَ والشَّرَّ، والنفعَ والضّرَّ، خلافاً للمعتزلة في قَصْرِهَا علىٰ الخيرِ والنفعِ.

واختلفَ العلماء في جواز نسبةِ خلق الشرور والقبائح إليه تعالىٰ: والراجح جواز ذلك في مقام التعليم كأدب الخضر عليه السلام[1].

(١) فقد نسب خرق السفينة لنفسه فقال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ لأنَّه شرٌّ، وقال في قتل الولد: ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا﴾، لأنَّه اشتملَ علىٰ خيرٍ بالنسبة للوالدين وشرٍّ بالنسبةِ للولد، وقال في بناء الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، لأنَّه خير.

كذلك اختلفَ العلماءُ في جواز نسبةِ خلقِ الأمور الخَسيسة إليه تعالىٰ، والأصحُ جوازُ ذلك في مقام التعليم فقط، فلا يُقال: الله خلق القرَدَة والخنازير إلا في مقامِ التعليمِ فقط.

فالعِلْمُ تعلُّقُه تعلق انكشاف، والإرادةُ مخصِّصةٌ علىٰ وِفْقِ العلم، والقدرةُ تُبْرِزُ ما خَصَّصته الإرادةُ، وحيثُ وجبت له صفةُ الإرادة فهو مريدٌ سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[النحل:٤٠]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[الحج:١٤]، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الإنسان:٣٠].

الإرادةُ غيرُ الأمرِ، فليست عينُه، ولا مستلزمةً له.

فقد يُريدُ الله ويَأْمُر، كإيمانِ مَنْ عَلِمَ الله مِنه الإيمان، فإنّه سبحانه أراده وأَمَر به.

وقدْ لا يريدُ ولا يأمرُ، كالكفْر مِنْ هؤلاء: (أي ممَّن عَلِمَ منهم الإيمان) فإن الله لَمْ يُرِدِ الكفر مِنْ هؤلاء، ولَمْ يأمرهم به.

وقد يريد ولا يأمر، كالكفر الواقع ممن علم الله منهم الكفر، فإنه أراده منهم ولم يأمرهم به.

وقد يأمر ولا يريد، كإيمان مَنْ عَلِم الله منهم الكفر، فإنَّما أمرهم بالإيمان مع كونه لم يُرِدْهُ منهم سبحانه؛ ليُظهرَ في عالم الحكمة ما عَلِمَه الله تعالىٰ أزلاً فيُعَاقَبُون عليه.

الإرادةُ غير العلم: فالعلمُ يتعلق بالواجب والمستحيل والممكن، والإرادة تتعلق بالممكن فقط.

والإرادةُ غير الرضا: فالرضا قَبولُ الشيءِ، والإثابةُ عليه، والإرادةُ قد تتعلقُ بما لا يرضي اللهَ كَكُفْرِ أبي لَهب.

وقد قالَ المحققون من أهل السنة: الإرادةُ في كتاب الله تعالىٰ نوعان:

- إرادةٌ قَدَريّةٌ كونيّةٌ خلقيّةٌ وهيَ: المشيئة الشَّاملة لجميع الكائنات.
- وإرادةٌ دينيّةٌ أمريّةٌ شرعيّةٌ وهي: المتضمّنةُ للمحبّةِ والرِّضَا.

٥- **الكلام**: صفةٌ أزليّةٌ قائمةٌ بذاته تعالىٰ، لا تُشْبِهُ كلامَ النَّاس.

قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النساء:١٦٤]، كلامُ النَّاسِ من فمٍ ولسانٍ وأسنانٍ، وكلامُه سبحانَه بدونِ جَارِحَةٍ.

وقالت المعتزلةُ: كلامُه هوَ: الحروفُ والأصواتُ الحادثةُ، وهي غيرُ قائمة بذاتِه تعالىٰ، ومعنىٰ كونُه متكلّمًا عندهم أنَّه خالقٌ للكلام في بعضِ الأجسام.

وحيث وجبت له صفةُ الكلامِ فهو متكلّمٌ.

٦- **السَمْعُ**: صفةٌ أزليّةٌ قائمةٌ بذاته تعالىٰ، لا تُشْبِهُ سَمْعَ المخلوقاتِ.

إذْ إنَّ سَمْعُ البشرِ بأُذُنَينِ، ويشترطُ فيه قُربٌ مُعَيّنٌ، ولا يَسْمَعُ البعيد، بينما سمعه سبحانه من غيرِ جارحةٍ، ولا آلةٍ للسمعِ، ولا شَرْطٍ مِنْ قُربٍ وبُعدٍ وجهةٍ.

٧- **البَصرُ**: صفةٌ أزليّةٌ قائمةٌ بذاته تعالىٰ، لا تُشْبِهُ بَصر المخلوقات.

فبصرُ البشر بآلةٍ، ويُشترط فيه قربٌ مُعَيّنٌ، وبعدٌ معينٌ، وجهةٌ، وعدمُ وجودِ حائلٍ، وبصرُه سبحانه من غير آلةٍ، ودون انعكاسِ موجاتٍ ضوئيةٍ من الشيءِ المرئيِّ، ولا شَرْطٍ مِنْ قُربٍ، وبُعدٍ، وجهةٍ، وعدمِ وجودِ حائل.

وحيثُ وجبت له صفةُ السمع فهو سميعٌ، وصفةُ البصَر فهو بصير.

قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[المجَادلة:١].

ويستحيلُ علىٰ اللهِ أضدادُ صفات المعاني والصفات المعنوية.

فيستحيل علىٰ الله تعالىٰ: الموتُ، والجهلُ، والعجزُ، والكراهيةُ، والخَرَسُ، والعَمىٰ، والصَمَمُ.

ويستحيل كونُه ميتـًا، أو جاهلاً، أو عاجزاً، أو مُكْرَهـًا، أو أَبْكَم، أو أعمىٰ، أو أصم، تعالىٰ الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

المُحْكَمُ والمُتشَابه

القرآنُ: محكمٌ ومتشابهٌ، قال تعالىٰ: ﴿هو الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[آل عمران:٧].

فالْمُحكَمُ: ما عُرِفَ المرادُ مِنْهُ، والمُتَشَابِهُ: ما استَأْثَرَ اللهُ بعلمه.

أمثلة المتشابه

١. فواتحُ السُّورَ / ١٤/ حرفًا. مثل: (الٓمٓ – صٓ – نٓ – قٓ...)
٢. كَيفيّات أسماء الله وصفاته.
٣. حقائقُ اليوم الآخر.
٤. حقائقُ السَّاعة.

بعضُ النصوصِ المتشابهة

١. ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه:٥].

الاستواء في اللُّغة له عدةُ معانٍ:

الاعتدالُ: كقول بعض بني تميم: استوىٰ ظالمُ العشيرةِ والمظلوم.

إتمامُ الشَّيءِ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾[القَصَص:١٤].

القَصْدُ إلىٰ الشيء: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[البَقَرَة:٢٩].

الاسْتِيلاءُ:

إذا مَا غَزَا قوماً أَبَاحَ حَرِيمَهُمُ وأَضْحَىٰ علىٰ مَا مَلَّكُوهُ قدْ استوىٰ

الاستقرار: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾[هود:٤٤]، ﴿لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[الزخرف:١٣].

عَلاَ وارتَفَع: ﴿لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[الزخرف:١٣].

٢. ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[الأنعام: ١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[النحل:٥٠].

فوق: يُستعمل في المكانِ، والزمانِ، والجسمِ، والعددِ، والمنزلةِ وذلك أضرب.

قال الغزالي: (إذا سُمِعَ لفظُ ﴿فَوْقَ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[الأنعام: ١٨].. فَلْيُعْلَم أنَّ الفوقَ اسمٌ مشتركٌ لمعنيين:

أولهما: نسبةُ جسمٍ إلىٰ جسمٍ، بأنْ يكونَ أحدُهما أعلىٰ، والآخرُ أسفلُ.

وثانيهما: الرتبة، مثل: الخليفةُ فوقَ السُّلطَان.

والأول مستحيلٌ في حقّه سُبحانه وتعالىٰ).

٣. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾[الرحمن].

فلفظُ الوجهِ ظاهرُ معناهُ يُفيدُ الجارحةَ، والله منزَّهٌ عن ذلك.

٤. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[البقرة:٢١٠]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:٢٢].

٥. في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: ((ينزِل ربُّنَا كلَّ ليلةٍ إلىٰ السَّماء الدنيا حينَ يبقىٰ ثلثُ الليلِ الأخيرِ، ويقولُ: مَنْ يدعوني فأستجيب له؟ ومَنْ يَسأَلُنِي فأعطيه؟ مَنْ يستغفِرُني فأغْفِر لَهُ؟))[1].

النزولُ يكونُ مِن أعلىٰ إلىٰ أسفلٍ، وقد يُطلق علىٰ غيرِ ذلك قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾[الزُّمَر:٦].

وكما قال الشافعي: (دخلتُ مِصْرَ، فلم يَفْهمُوا كلامي، فنزلتُ، ثمَّ نزلتُ، ثُمَّ نزلتُ).

فهذه النصوص تفيد الانتقال الملازم للجسمية، يقال: جاء في الأعيان والمعاني، ولما يكون مجئه بذاته وأمره، ولمن قصد مكانًا أو عملًا أو زمانًا.

٦. قال رسول الله ﷺ: ((خلقَ اللهُ آدمَ علىٰ صورَتِهِ))[2]، ((إني رأيت ربي في أحسن صورة))[3].

مَوقِفُ السلفِ مِنَ النصوصِ المتَشَابهةِ

يُثْبِتُونَها كما وردت، ويُمِرُّونها كما جاءت، وينزِّهون الله عما لا يليق به، ويقولون: صفةُ الله ليست كصفةِ البشرِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

فهم يقولون:

---

(١) البخاري (١١٤٥).

(٢) البخاري (٦٢٢٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، والدارقطني وصححه السيوطي الجامع الصغير للسيوطي.

١. استوىٰ كما ذَكَرَ، أو استواءً يليقُ بذاتِه، أو يُقال: الاستواءُ علىٰ العرشِ صفتُه بلا كيفٍ.

٢. فوقيةٌ تليقُ بذاته، يدٌ تليقُ بذاته، وجهٌ يليقُ بذاته، أو يُعَبَّر عن ذلك: يدُ الله صفته بلا كيفٍ.

٣. مجيءٌ يليقُ بذاته، إتيانٌ يليقُ بذاتِه، نزولٌ يليقُ بذاتِه، أو يُعَبَّر عن ذلك: نزولُ اللهِ صِفَتُه بلا كيفٍ.

٤. يمينٌ يليقُ بذاته، عنديةٌ تليقُ بذاتِه، أو يُعَبَّر عن ذلك: يمينُ اللهِ صفتُه بلا كيفٍ.

أو: يقولونَ في الجميع: بدونِ تمثيلٍ ولا تشبيهٍ ولا تكييفٍ ولا تعطيلٍ.

أَدِلةُ السَّلَفِ

روىٰ سليمان بن يسار أن رجلًا يقال له صُبَيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر ﷺ وقد أعد له عراجين النخل، فقال: أنا عبد الله بن صبيغ. فأخذ عمر عرجونًا فضربه حتىٰ دمي رأسه، فتركه حتىٰ برأ، ثم عاد ثم تركه حتىٰ برأ، ثم عاد... إلخ. فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا، فأذن له في أرضه، وكتب إلىٰ أبي موسىٰ ﷺ أن لا يجالسه أحد من المسلمين.

قالت أمَّ سَلَمة ﷺ لمَّا سُئلت عن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه:٥] فقالت: الكيفُ غَيرُ معقولٍ، والاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والإقرارُ به من الإيمانِ، والجحودُ به كفرٌ[1].

(١) رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة.

وجاءَ عن الإمامِ مالكٍ حين سُئل عن الاستواءِ قولَه: الاستواءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ، ثمَّ قالَ للسائلِ: وأظنُّكَ رَجُلَ سُوءٍ أخرجوه عنِّي.

وسُئِل الأوزاعي عن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه:٥]، فقالَ: كمَا قالَ (أي: الله تعالىٰ)، وإني لأراكَ ضالاً.

وقَدْ عقَّبَ ابنُ الصَّلاَحِ علىٰ هذا بقولِهِ: (علىٰ هذه الطريقةِ مضىٰ صدرُ الأُمَّةِ وساداتُهَا، وإيَّاها اختارَ الأئمةُ الفقهاءُ وقادتُها، وإليها دعا أئمةُ الحديثِ وأعلامُه، ولا أحدٌ منَ المتكلمينَ من أصحابِنا يصدُف عنها ويأبَاها)[1].

وقد سُئِلَ الإمامُ أحمدُ عن الاستواء فقالَ: (استوىٰ كما أخبرَ لا كما يَخْطُر للبشرِ).

ولمَّا سُئِل الشافعي قال: (آمنتُ بلا تشبيه، وصدَّقْتُ بلا تمثيل، واتَّهمْتُ نفسي عن الإدراك، وأمسكتُ عن الخوضِ فيه كلّ الإمساك).

وقال يونُس بن عبدِ الأعلىٰ: (سمعتُ الشافعيَّ يقول: نُثبِتُ الصفاتِ التي جاء بها القرآن، ووردت بها السنّة، وننفي التشبيه عن الله كما نفاه عن نفسه فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١]).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٧٨).

ونقلَ الترمذيُ عند حديثِ: ((إنَّ الله يَقبلُ الصدقةَ، ويأخذُها بيمينه)) قولَ مالك بن أنس، وسفيانَ بن عيينة، وعبدَ الله بن المبارك: أنَّهم قالوا في هذه الأحاديث: (أَمِرُّوهَا بلا كَيفٍ)، وهكذا قولُ أهلِ العلمِ من أهل السنَّة والجماعة[1].

ونقل الشهرستاني أنَّ مالكًا والشافعي وأحمد لمْ يتعرضوا للتأويلِ، واحترزوا من التشبيهِ أيَّما احترازٍ، حتىٰ قالوا: مَنْ حرَّكَ يدهُ عند قراءةِ قوله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]، أو أشارَ بأصبُعه عند رواية حديث: ((إنّ قلوب بني آدمَ بين أُصبعين من أصابعِ الرحمن)) [2] وَجَبَ قَطْعُ يَدِه وقَلْع أصبعه[3].

وقال الإمام البيضاوي في تفسيره: وَعَنْ أَصْحَابِنَا أنَّ الاستواءَ علىٰ العرشِ صفةٌ لله تعالىٰ بلا كيفٍ[4].

وقال ابن كثير عند قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[الأعراف:٥٤]. قال: (فللنَّاس في هذا المقامِ مقالاتٌ كثيرةٌ جداً ليسَ هذا موضعُ بسطِهَا، وإنَّما نسلكُ في هذا المقامِ مذهبَ السَّلفِ الصَّالحِ: مالكٍ والأوزاعيِّ والثوريِّ والليثِ بن سعد والشافعيّ وأحمدَ وإسحاقَ بن راهويه، وغيرِهم من أئمة المسلمينَ قديمًا وحديثًا، وهوَ إمرارُها كما جاءت من غير تكييفٍ ولا تشبيهٍ ولا تعطيلٍ ولا تمثيلٍ).

---

(١) انظر: الجامع للترمذي (السنن) (٣/ ٥٠).

(٢) مسلم في القدر (٢٦٥٤)،.

(٣) انظر: المِلَلْ والنِّحَلْ للشهرستاني (١/ ١٠٠).

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، تفسير سورة الأعراف، الآية (٥٤).

والظاهرُ المتبادرُ إلىٰ أذهان المُشبِّهَةِ منفيٌّ عن الله تعالىٰ، فإنّ الله تعالىٰ لا يشبِهُهُ شيءٌ مِنْ خَلْقِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١](١).

موقفُ الخَلَف من النصوص المتشابهة:

يُثْبِتُونَها كما وَرَدَت، وينزِّهون الله عمَّا لا يليق به، ويقولون: صفةُ اللهِ غيرُ صفةِ البشر.

والظاهر المتبادر إلىٰ أذهان المُشَبِّهةِ منفيٌّ عن الله تعالىٰ، فإنَّ الله تعالىٰ لا يُشْبِهُهُ شيءٌ مِنْ خَلْقِه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

بعد ذلك يأخذون معنًىٰ مِنَ المعاني اللّغوية يليقُ بجلالِ الله سبحانه، بعيداً عن التشبيه والتمثيل والتكييف والتعطيل فيقولون مثلاً:

استوىٰ: بمعنىٰ استولىٰ، أو عَلاَ (طبعـًا عُلُوّاً يليقُ بذاتِه)، وأمَّا ارتفع واستَقَرَّ فيرفضونه.

والمراد بالوجهِ: الذاتُ، قال تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[الرَّحمن:٢٧]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٧٨].

فصفةُ ذي الجلالِ والإكرامِ؛ صفةٌ للوجهِ في الآية الأولىٰ، وصفةٌ للربِّ في الآيةِ الثانيةِ، فهذا دليلٌ علىٰ أنَّ المرادَ بالوجهِ الذات.

والمرادُ باليدِ: القدرةُ.

وباليمينِ وبالعنديةِ: الإحاطةُ والتمكينُ.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٢٩٤).

وبالعين: الرعايةُ والتربيةُ.

وبالمعيّةِ: التأييدُ والنُّصْرَة.

وَمعَكُمْ: أي بعلمه.

والمرادُ بالصورةِ في قوله: ((إن الله خلق آدم علىٰ صورته))[1]: الصفةُ مِنْ سمعٍ وبصرٍ وعلمٍ وحياةٍ، فهو (أي: آدَمُ ﷺ) علىٰ صفة الله في الجملة، وإنْ كانت صفاتُ الله قديمة، وصفاتُ الإنسان حادثة.

ورأيي: أنَّ الضميرَ في الحديثِ ((إنَّ الله خلقَ آدمَ علىٰ صورته)) يعودُ لآدمَ، وهو أقربُ مذكورٍ، ويكونُ الردُّ فيه علىٰ (الدَّاروينيّة)، وقد رأيت هذا الرأي لبعضِ المحققين.

والمراد بِفَوق: المنزلةُ والرتبةُ.

والمرادُ بجاءَ ربُّكَ: المعنىٰ جاءَ أَمرُ ربِّكَ، علىٰ حذفِ مضافٍ كما صرَّحَ به في آيةٍ أخرىٰ.

والمرادُ بينزِلُ رَبُّنَا: أي ينزلُ المَلَكُ بأمْرِ رَبِنَا، كما صرّح به في حديثٍ آخر.

---

(١) البخاري (٦٢٢٧).

اعتمادُ رأي السلفِ:

وهكذا، إلا أنَّ مِنْ علماء الخلف مَن بقي متمسكًا برأي السلف وقام الخلافُ بين الرأيين.

ورأيُ الخَلَفِ جاءَ ردّاً علىٰ الفلاسفةِ والمشبِّهةِ والمجسِّمةِ.

والآنَ بعد أنْ انتهىٰ أمرُ الفلاسفةِ والمشبِّهةِ والمجسِّمةِ، ينبغي أنْ تجتمعَ كلمةُ المسلمينَ في مشارقِ الأرضِ ومغاربها علىٰ رأي السلفِ، وينتهي الخلافُ الذي حوَّلَه البعضُ إلىٰ معانٍ أُخرىٰ وصعَّدَه.

وفي رأيي أنَّ علماءَ المسلمين يوافقونَ علىٰ ذلك، لأنَّ الخلفَ لا مانع عندهم ألبتة مِنَ الأخذِ برأي السلفِ، بل يُفضِّلونَ ذلكَ ويرجِّحُونه؛ لأنَّهم في الأصل من أتباعه وليسوا ضدَّه بوجه من الوجوه، ولا في حالٍ من الأحوالِ، بل رأي السلف عند الخلف أرجح من رأي الخلف.

والتعبيرُ الذي أُخِذَ عليهم: (رأي السلف أسْلَم، ورأيُ الخلفِ أحْكَم (وزِيدَ عليه: وأَعْلَم) يشير إلىٰ تفضيلهم رأي السلف، والجميع يقولون إن السلف أعلم من الخلف، وأقصد بالجميع: مَنْ تمسَّكَ برأي السلف مِنَ الخلفِ أو أخَذَ برأي الخَلَف.

والجميع يقولون: أبو حنيفةَ ومالكٌ والشافعي وأحمد بن حنبل أئمةُ السلفِ في العقيدةِ والفقهِ. والخلفُ لا يخرجونَ عن آرائهم ومذاهبهم في العقيدة والفقه، ولو أنَّهم رأوا آراءً ثانيةً للردِّ علىٰ الانحرافِ. واللهُ أعلم.

فواتحُ السور:

رُوِيَ عن أبي بكرٍ وعلي ﷺ في الحروفِ التي في أوائل السور: هيَ من المتشابهِ الذي انفرد الله بعلمه، ويجبُ أن لا يُتكلَّم فيها، ولكنْ نؤمنُ بها وتُمَرُّ كما جاءت، ورويَ هذا عن عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المُحَدِّثين، ونُقِلَ عن عمر وعثمان وابن مسعود ﷺ أنَّهم قالوا: (الحروف المقطعة: من المكتومِ الذي لمْ يُفَسَّر).

قسم الروحانيات

الإيمان بالملائكة

تعريف الملائكة

الملائكةُ أجسامٌ نورانيةٌ لا يعلم عددهم إلا الله، لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يُقال عنهم إناثٌ ولا ذكورٌ، وهم عبادٌ مُكْرَمُون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون مُتّصفون بالعصمة.

نورانيةٌ: خُلِقَتْ مِنْ نورٍ، كما جاء في الحديث الصحيح.

مَن اعتقد بأنَّهم ذكورٌ فهو فاسقٌ، ومن اعتقدَ بأنَّهم إناثٌ فهو كافرٌ لمخالفته النصوصَ مِنَ القرآنِ الكريمِ .

متصفون بالعصمة فهم معصومون، وقصّةُ هاروت وماروت، وقصة الزُّهْرَة بأنَّهم ملائكة وما أشبهها ليس لها مستند من كتابٍ أو سنةٍ، أو يقول علماء ثقات: إنها مختلقة مكذوبة.

رؤساؤُهم

جبريلُ (أمينُ الوحي)، وميكائيلُ (الموكل بالأمطار)، وإسرافيلُ (الموكَّل بنفخِ الصُّور)، وملك الموت (عُزرائيل).

ولمْ أَطَّلع علىٰ تسميةِ مَلَكِ الموت بعزرائيل في الحديث، ولكنَّه مذكورٌ علىٰ ألسنة علمائِنَا في التفسيرِ، وشروح الحديث، وكتب الفقه، وَغَيرها.

ورقيبٌ عتيدٌ (كاتبا الحسناتِ والسيئات).

ومنكرٌ ونكِيرٌ (فَتَّانَا القَبر).

ورُضْوَان (خازنُ الجنَّة).

وَمالِك (خازنُ النَّار).

والملائكة الكَرُوبِيّون (حملة العرش).

والحفظة (وقد جاء علىٰ أنهم ثمانية بالليل وثمانية بالنهار، وقال بعضهم: إنهم كتاب الحسنات والسيئات، ورجح البعض أن لا يجزم بالعدد).

قال تعالىٰ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[الرعد:١١].

والملائكة السَيَّاحُونَ (الذين يحضرون مجالس الذكر [و] يُبَلِّغون رسولَ الله ﷺ السَّلامَ من أمّتِهِ).

وملائكة الرحمة (الذين يدخلون بيوت المؤمنين، ولا يدخلون بيتـًا فيه كلبٌ، أو صورةٌ، أو جَرَسٌ).

وغيرُهم فهناكَ ملائكةٌ يُسبِّحُون لا يَفْتُرُونَ، وملائكةٌ ساجدونَ لا يرفعونَ رؤوسَهُم أبداً.

الجنّ والشّياطين

من العوالمِ الغيبيةِ: الجنُّ والشياطينُ، وقد ثبتَ وجودُهم بالكتابِ والسنَّةِ وإجماع الأمّةِ، ومنْكِرُهم كافرٌ.

يرونَنَا ولا نَراهم. منهم المسلمونَ، ومنهمُ الكافرون. والمسلمونَ منهُم الصالحونَ، ومنهم دونَ ذلك. مكَلَّفُون كالإنسِ. ومنهم الشياطين، ومنهم العفاريت، ومنهم المَرَدَة.

قال ابن عبد البر: الجن مراتب: جني عامر (يسكن مع الناس)، أرواح (يعرض للصبيان)، شيطان (متمرد)، مارد (زد في الإيذاء)، عفريت (زاد علىٰ ما تقدم).

الشيطان: المارد الفاسق الفاجر من الجن والإنس.

الجنُّ والشياطين جنسٌ واحدٌ (علىٰ رأي الجمهور).

عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: ((خُلِقَتِ الملائكةُ من نورٍ، وخُلِقَ الجانُّ مِنْ مارجٍ من نارٍ، وخُلق آدمُ ممَّا وُصف لَكم))[1].

الجِنُّ أجسامٌ ناريةٌ، تتشَكل بالأشكال الحسنةِ والقبيحةِ، وهم عقلاءُ يأكلونَ ويشربونَ وينامون ويتزوَّجون ويتناسلون. ومنهم العاصي الكافر، ويطلق الشيطان علىٰ العاصي المتمرد المؤذي.

(١) مسلم (٢٩٩٦).

الجِنُّ يَحضُرون أمكنةَ الإنسِ، ويحضُرونَ الأكلَ والشّربَ والجماعَ إلاَّ أَنْ يَحْجُزَهُمُ الله.

والشَّياطين مسلَّطُونَ علىٰ الإنسِ بالوسوسةِ والإغواءِ والإضلالِ.

وأحيانـًا يَلبَسُون جِسم الإنسان ويعيشون فيه، بكيفية لا يعلمها إلا الله، فيُصابُ الإنسان عن طريقهم بالصرعِ أو الجنونِ أو التَشَنُّجِ وغير ذلك.

تنبيه:

إنَّ الشياطينَ نوعان: شياطين من الإنس، وشياطين من الجن، وشياطينُ الإنسِ أشدُ خطراً، لأنَّ شيطان الجنّ عملُه الوسوسة بينما شيطانُ الإنس عمَلُه بالمواجهةِ، وقد يكون أبـًا أو ابنـًا أو أخـًا أو قريبـًا أو صديقـًا أو زوجـًا، وقد يكون أُمّـًا أو بنتـًا أو أختـًا أو قريبةً أو زوجةً، وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾[الناس].

وقد ثَبَتَ بأن الذي يقرأ آية الكرسي عندما يبيت في فراشه لا يقربه شيطانٌ حتىٰ يصبح[1].

ومن قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، صباحًا ومساء كفي من كل سوء.

(١) البخاري (٣٢٧٥).

ويُسَنُّ عند الدخول إلىٰ الخلاءِ أَنْ يُقَدِّمَ رجلَه اليُسرىٰ ويقول: ((بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخُبث والخبائث))[1]. بسم الله: سترٌ لعورته من الجنّ. والخبث: ذكور الشياطين، والخبائث: إناث الشياطين.

ويُسَنُّ عندَ الخروجِ أنْ يُقَدِّمَ رجله اليمنىٰ، ويقول: ((غُفْرَانك، الحمدُ لله الذي أذهبَ عنّي الأذىٰ وعَافَانِي))[2].

(١) البخاري (١٤٢)،.

(٢) ابن ماجه (٣٠١).

قسم النبوات

الإيمان بالكتب السَّماوية

الكتب السماوية أربعةٌ ومائة: التوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن، وستون صحيفة نزلت علىٰ شيث (ابن آدم)، وثلاثون علىٰ إبراهيم، وعشر علىٰ موسىٰ قبل التوراة.

الإيمانُ بالكتب يتضمَّنُ ما سمّىٰ اللهُ من كُتُبِهِ في القرآن، وهي:

١. **التوراةُ**: أُنزلت علىٰ موسىٰ عليه الصلاة والسلام.
٢. **الزَّبورُ**: أُنزِل علىٰ داود عليه الصلاة والسلام.
٣. **الإنجيلُ**: أُنزِل علىٰ عيسىٰ عليه الصلاة والسلام.
٤. **صحف إبراهيمَ وموسىٰ**.

وكلها دخلها التحريفُ ما عدا القرآن. وذلكَ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ أَوْكَلَ حِفظَها إلىٰ أُمَمِهَا فَضَيَّعُوهَا، أمَّا القرآنُ فقد تعهّدَ بحفظه قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩].

وأُمِرْنَا بحفظِهِ، عن عثمان بن عفان ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((خَيرُكُم مَن تَعَلَّم القرآنَ وعلَّمَه))(١). فَحَفِظَه الصحابةُ ﷺ قبل وفاة النبي ﷺ، ثُمَّ التابعون أضعافَ الصحابة، ثُمَّ تابعُ التابعين أَضعاف التابعين، ثُمَّ مَنْ بَعْدَهم، حتىٰ أصبحت ملايين كثيرةٌ تحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلبٍ، وفي كلِّ بلدٍ من بلدانِ العالم الإسلامي أعدادٌ كبيرةٌ تحفظُ القرآنَ الكريم.

(١) البخاري (٥٠٢٧).

حاولَ الكثيرونَ مِن أعداء الإسلام تحريفَ القرآنِ بزيادةٍ أو نقصٍ، فباءت محاولاتُهم بالإخفاق والحمدُ لله.

يَجِبُ أنْ نعتقدَ بأنَّ العمل بالكتبِ السابقة منسوخٌ، فالقرآنُ ناسخٌ لما قبلَه.

ويجبُ أنْ نعتقدَ أنَّ هذا القرآن هو مطابقٌ لما في مصحف عثمانَ، ومنقولٌ إلينا بالتواترِ بالرواياتِ السبعة بل العشرة علىٰ التحقيق.

وأنَّ ما في مصحف عثمان ﷺ مُجْمَعٌ عليه من قِبَل الصحابة، لم يختلفْ عليه أحدٌ، وأولُهُم علي بن أبي طالب ﷺ، وأنَّ ما في مصحف عثمان منسوخٌ عن صُحُفِ أبي بكر ﷺ، وهيَ أيضًا مُجمَعٌ عليها، ولَمْ يُجمَعْ فيها إلا الصحفَ التي نُسخت بين يَدَي رسول الله ﷺ وشَهِدَ شاهدانِ علىٰ ذلك.

وأنَّ ما في الصحُفِ مطابقٌ لما في صدورِ الصحابة وآلِ البيت، وموافقٌ لما في صدر النَّبي ﷺ وِفْقَ العرضةِ الأخيرة علىٰ جبريل عليه الصلاة والسلام، وما في صدر النّبي ﷺ موافقٌ لما نَقَلَه جبريلُ عن ربِّ العزة سبحانه وتعالىٰ.

والقرآن بمعنىٰ كلام الله غير مخلوق

وقد امتنع الأئمةُ عن القولِ بخلق القرآنِ، ووقع امتحانٌ في ذلك لخلقٍ كثيرٍ من أهل السُّنة.

فقد خَرَج البخاريُّ ﷺ فارّاً وقال: (اللّهم اقبضني إليكَ غير مفتون)، فماتَ بعدَ أربعةِ أيام.

وقد سُجِنَ عيسىٰ بنُ دِينار عشرينَ سنةً.

وسُئل الشعبيُّ فقال: أمَّا التوراةُ والإنجيلُ والزبورُ والفرقانُ فهذه الأربعةُ –وأشارَ إلىٰ أصابعه– حادثةٌ، فكانت سبب نجاته.

وحُبِسَ الإمامُ أحمدُ، وضُرِبَ بالسياط حتىٰ غُشِي عليه.

ويذكر أن النبي ﷺ قال للإمام الشافعي في الرؤيا: بشر أحمد بالجنة علىٰ بلوىٰ تصيبه في خلق القرآن. فأرسل الشافعي لأحمد كتابًا ببغداد يخبره فيه برؤياه، فلما قرأه الإمام أحمد بكىٰ، ودفع للرسول قميصه الذي يلي جسده، وكان عليه قميصان، فلما دُفع للشافعي غسله وادهن بمائه.

والقرآن: كلامُ الله، المُنَزَّلُ علىٰ محمد رسول الله ﷺ لفظُهُ ومعناه، المتعبّدُ بتلاوته، المُتَحَدَّىٰ بأقصرِ سورةٍ منه، أوّله سورة الفاتحة، وآخره سورة الناس، المنقول لنا بالتواتر.

نزل علىٰ الرسول ﷺ أقساطًا في مدة ثلاثة وعشرين سنة تقريبًا.

أَوَّلُ ما نَزَل علىٰ الإطلاق آيات سورة العلق: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾[العلق].

وأوَّلُ ما نزل بعد فترة الوحي آيات المدّثر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾[المدثر].

وآخرُ ما نزلَ من آيات الأحكام: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:٣].

وآخرُ آيةٍ نزلت علىٰ الإطلاقِ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[البقرة:٢٨١].

وآخرُ سورةٍ نزلت علىٰ الإطلاق: (سورة النصر).

والقرآنُ مكيٌّ ومدنيٌّ

فالمكيّ: ما نزل قبل الهجرة ولو بالطائف.

والمدنيُّ: ما نَزَلَ بعد الهجرةِ ولو بمكة ومِنىٰ والحديبية.

وقتُ نُزولِ القرآن: نزلَ جملةً واحدةً إلىٰ بيت العزّة في السماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القَدْرِ، كما صحَّ عن ابن عباس ﷺ، ثُمَّ ابتدأ نزوله إلىٰ الأرضِ في ليلة القدرِ أيضًا.

الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

النَّبيُّ: إنسانٌ، حرٌّ، ذكرٌ، سليمٌ مِن كلِّ منفِّرٍ طبعـًا، أُوحِيَ إليه بشرعٍ يعمل به، وإنْ لم يُؤْمَر بتبليغه، فإن أُمر بتبليغه كان رسولاً، فكلُّ رسولٍ نبيّ، ولا عكس.

عَدَد الأنبياءِ مائةٌ وأربعةٌ وعشرون ألفـًا، أوَّلهم آدمُ، وآخرُهُم محمدٌ عليه الصلاة والسلام. والرسلُ منهم ثلاثمائةٍ وثلاثةَ عشر.

نقل أبو منصور التميمي البغدادي المتوفىٰ في سنة ٤٢٩ هجرية الإجماع علىٰ أن أول من أرسل إلىٰ الناس آدم عليه الصلاة والسلام، ونقل الإجماع علىٰ نبوة آدم أيضا، وعبارته: (أجمع المسلمون وأهل الكتاب علىٰ أن أول من أرسل إلىٰ الناس آدم عليه السلام). وقال في موضع آخر: (أجمع أصحاب التواريخ من المسلمين علىٰ أن عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مائة وأربعة وعشرون ألفًا كما وردت الأخبار الصحيحة أولهم أبونا آدم عليه الصلاة والسلام وأخرهم نبينا محمد ﷺ).

والرأيُ السائدُ ألاّ نَجْزُم بالعَدَدِ لقوله تعالىٰ: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[غافر:٧٨].

مَنْ أنكر نبيـًا أو رسولاً مُجْمَعًا علىٰ نبوته أو رسالَته يَكْفُر.

وأمَّا إنكارَ نبوةِ مَنْ لم يُجْمَع علىٰ نبوّتِه كالخضرِ ومريم فليس بِكُفر، وفي الفتاوىٰ الهندية[1]: (وعن جعفرَ فيمن يقولُ: آمنتُ بجميع أنبيائِه، ولا أعلم أنَّ آدم نبيٌّ أم لا، يَكْفُر كذا في العتابية).

الذي يجب في حقهم إجمالًا: الاتصاف بكل كمال، والتنزيه عن كل نقصان.

والذي يجب في حقِّهم تفصيلاً: الأمانةُ، والصدقُ، والفطانةُ، والتبليغُ.

الأمانة: هي العصمةُ، وهي كونُ ظواهرهم وبواطنهم محفوظةً عن التلبُّسِ بمنْهِيٍّ عنه، ولو نَهي كراهةٍ أو خلافِ الأولىٰ، فأفعالُهم دائرةٌ بين الواجبِ والمندوبِ، وهيَ ثابتةٌ لهم قبلَ النبوة وبعدَها، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾[ص:٤٧]. فلا يقع منهم المكروه علىٰ أنهُ مكروهٌ لذاته بل لبيانِ الجواز.

والصدقُ: مطابقةُ أخبارِهم للواقع.

والفطانةُ: الذكاءُ، وإيتاءُ الحجَّة.

والتبليغُ: بَلَّغُوا جميعَ ما أمرهم الله بتبليغه.

ويستحيلُ عليهم أضدادُ الصفات السابقة: الخيانةُ، والكتمانُ، والكذبُ، والبلادةُ.

ويستحيلُ عليهم كلّ منفِّرٍ طبعـًا، وكلَّ ما يعدُّه النَّاس من العيوبِ مثلَ: الجنونِ والجُذامِ والبرصِ والعمَىٰ.

(١) الفتاوىٰ الهندية: باب: مطلب في موجباتِ الكُفر (٨/ ١٧).

ويجوز في حقهم كلُّ ما لا يؤدي إلىٰ نقصٍ في مراتبهم العَليّة، كالأكلِ، والشربِ، وإتيان النساء الحلال، والنوم بأعينهم لا بقلوبهم، والأمراض غير المنفِّرة، وأمَّا السهوُ فممتنعٌ في الأخبارِ البلاغيةِ، وكذلك النسيانُ فهو ممتنعٌ أيضـًا في البلاغيات قبل تبليغها قوليةً أو فعليةً، وأمّا بعد تبليغِها فيجوز نسيانُ ما ذُكِرَ إذا كان مِنَ الله.

وأما نسيانُ الشيطان فمستحيلٌ عليهم، إذ ليسَ له عليهم سبيل، وقول يُوشَع عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ﴾[الكهف:٦٣]، فمحمولٌ علىٰ التواضعِ عند البعض وهو غيرُ واضحٍ، بلْ نسبَه إلىٰ الشيطان أدبـًا مع الله.

وكذلك قولُ أيوب عليه الصلاة والسلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٍ وَعَذَابٍ﴾[ص:٤١] فنسبه إلىٰ الشيطانِ لكونه السبب كما في تفسير الجلالين.

النبوة: غيرُ مكتسبةٍ، بل هي اصطفاءٌ مِنَ الله وفَضْلٌ منه.

والولايةُ: مكتسبةٌ، وهي الولاية العامةُ، وهيَ امتثالُ المأمورات، واجتنابُ المنهيات. ومنها غيرُ مكتسبٍ، وهيَ العطايا الربانية كالعلمِ اللَدُّنِّيّ والكرامات وغيرها.

المعجزةُ:

أمرٌ خارق للعادة، يُظهره الله علىٰ يد النبي، مقرونـًا بدعوىٰ النبوة أو الرسالة، موافقـًا لدعواه، علىٰ وجه يُعجِز المنكرين عن الإتيان بمثله، تصديقـًا للنبيِّ في دعوىٰ النبوة أو الرسالة، وفيما بلَّغه عن الله سبحانه لأنَّها نازلة منزلة قوله تعالىٰ: (صدَقَ عبدي في كلِّ ما يبلغُ عنّي).

واعتبرَ المحققون في المعجزة سبعةَ قيود:

الأول: أنْ تكون قولاً كالقرآن، أو فعلاً كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ، أو تركـًا كعدمِ إحراق النَّار لسيدنا إبراهيم عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام.

الثاني: أنْ تكونَ خارقةً للعادة، والعادة: ما دَرَجَ عليه الناسُ واستمروا عليه مرةً بعدَ أُخرىٰ.

والثالث: أَنْ تكونَ علىٰ يد مدعي النّبوة أو الرسالة، فتخرجُ الكرامة، والمعونة، والاستدراج، والإهانة.

- **فالكرامةُ**: ما يُظهِرُهُ اللهُ علىٰ يدِ عبدٍ ظاهرِ الصلاح.
- **والمعونةُ**: ما يُظْهِرُه اللهُ علىٰ يَد عوامّ المسلمين؛ تخليصـًا لهم من شدَّةٍ.
- وأمّا **الاستدراجُ**: فهو ما يَظْهَرُ علىٰ يدِ فاسقٍ.
- وأمَّا **الإهانةُ**: فهي ما يَظْهَرُ علىٰ يدِ مدّعي النّبوةِ تكذيبـًا، كما حصل لمسيلمة الكذاب، فإنَّه تفلَ في عين أعورٍ لتبرأ فعميت الصحيحةُ، وتَفَلَ في بئرٍ لِتَعْذُبَ مياهُه فَغَارَت.

الرابع: أن تكونَ مقرونة بدعوىٰ النّبوة أو الرسالة حقيقةً، أو حُكْمـًا بأنْ تأخّرت بزمنٍ يسيرٍ، ويخرجُ الإرهاصُ وهو: ما كانَ قبل النبوة والرسالة تأسيسـًا لها، كإظلالِ الغمامِ له ﷺ قبل البعثةِ.

الخامس: أنْ تكونَ موافقةً للدعوىٰ، فخرجَ المخالفُ لها، كما إذا قالَ: آية صدقي انفلاقُ البحرِ، فانفلقَ الجبلُ.

السادس: أنْ لا تكون مكذِّبةً له، فخرجت المكذبةُ كما إذا قال: آيةُ صدقي نُطْقُ هذا الجمادِ، فنطّقَ بأنَّه مفترٍ كذَّاب.

السابع: أنْ تَتعذَّر معارضتهُ، فخرج السحر، والشعوذة وهي: خفةٌ في اليد.

وزاد بعضهم **ثامنًا**: أن لا تكونَ في زمن نقضِ العادةِ، كزمنِ طلوع الشمسِ من مغربها، وخرج بهذا أيضًا ما يقع من الدجال كأمره للسماء أن تُمْطر فتُمْطر، وللأرضِ أن تُنْبِت فتُنْبِت.

ومعجزات النبي ﷺ كثيرةٌ غُرَرٌ، منها: نبعُ الماء من بين أصابعه ﷺ، وانشقاقُ القمر، وسلامُ الحجرِ والشجرِ، وتسبيحُ الحصا في كفِّه ﷺ، وتسبيحُ الطعامِ، وحنينُ الجذع، وردُّ عينِ قتادة، ومنها وأعظمها القرآن الكريم.

والمذكورُ في القرآنِ الكريم: خمسةٌ وعُشرونَ نبيًا ورسولاً

سيدنا آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسُف، أيوب، شعيب، موسىٰ، هارون، ذو الكِفل، داود، سليمان، إلياس، اليَسع، يونُس، زكريا، يَحْيَىٰ، عيسىٰ، محمَّد عليهم الصَّلاة والسَّلام.

أفضلُهم محمدٌ ﷺ ثمَّ إبراهيم، ثمَّ موسىٰ، ثُمَّ عيسىٰ، ثُمَّ نوح، وهم أولو العزم، ثُمَّ بقيةُ المرسَلين، ثُمَّ الأنبياءُ، ثُمَّ رُؤَساء الملائِكة كجبريل، ثم رؤساء البشر كالخلفاء الأربعة، ثم عوام الملائكة، ثم عوامّ البشر.

الكرامةُ:

أمرٌ خارقٌ للعادةِ، يُظْهِرُه اللهُ علىٰ يدِ عبدٍ صالحٍ، غير مدّعٍ للرسالة، وهيَ من الأمورِ الجائزةِ عقلاً، والواقعةِ نقلاً.

جاءَ بها كتاب الله تعالىٰ، ونَطَقَتْ بها الأحاديثُ الصحيحةُ.

أمَّا القرآنُ الكريمُ ففيه:

١. قِصَّةُ مَريم.
٢. قِصَّةُ أَصْحَاب الكهف.
٣. قِصَّةُ عَرشِ بَلقيس.

وفي السنَّة الصحيحة:

١. قِصَّةُ الثلاثةِ الذينَ آواهُمُ الغارُ[١].
٢. قِصَّةُ جُريَجٍ العابد[٢].

والوليُ يدلُّ علىٰ الكرامةِ، وليستِ الكرامةُ تدلُّ علىٰ الولي.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كمْ مِن أشْعَثَ أَغْبَرَ ذي طِمْرَينِ لا يُؤْبَهُ له لو أقْسَمَ علىٰ الله لأبرَّه))[٣].

(١) أخرجها مسلم (٧١٢٧).

(٢) أخرجها البخاري (٣٢٥٣).

(٣) الترمذي (٣٨٥٤).

قال الجُنيد رحمه الله تعالىٰ: (إذا رأيتُم الرجلَ يطيرُ في الهواء، أو يمشي علىٰ الماءِ، فلا تصدِّقُوه حتىٰ تنظروهُ عندَ الأمرِ والنَّهي).

وقال الشافعيُّ: (إذا رأيتُم الرجلَ يمشي علىٰ الماءِ، ويطير في الهواءِ، فلا تغتروا به حتىٰ تعرضوا أَمْرَه علىٰ الكتاب والسنة).

قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾[يونس].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إنَّ الله تعالىٰ قال: ((مَنْ عادىٰ لي وليـًا فقد آذنته (أعلمته) بالحربِ، وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أفضلَ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافلِ حتىٰ أحبّه، فإذا أحبَبْتُه كنتُ سمعه الذي يسمعُ به، وبصرهُ الذي يبصرُ به، ويده التي يبطشُ بها، ورِجلُه التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينَّه، وإنْ استعاذني لأعيذنّه))[1].

وهذا الحديثُ العظيمُ يضعَ طريقـًا للوصولِ إلىٰ محبة الله تعالىٰ بما يأتي:

أولاً: الامتناعُ عن أذىٰ المؤمنين المتقين (أولياء الله) ومعاداتهم؛ فأذىٰ أحبابِ الله ومعاداتِهم يَجُرُّ إلىٰ حرب الله وغضبِه، فالله غيورٌ علىٰ أوليائه، والعلماءُ ورثة الأنبياءِ، ولحومُهُم مسمومة، والكلام عليهم من المُهْلِكات.

(١) البخاري (٦٥٠٢).

ثانيـًا: القيامُ بالفرائض: والفرائضُ أفعالٌ وتروكٌ. فالأفعالُ: كفرائضِ الصلاةِ والصيامِ والزكاةِ والحجِ ... الخ. والتروك: مثلُ تركِ الشركِ، تركِ الزنا، تركِ اللواط، تركِ شُرب الخمر، ترك الغيبةِ... إلخ.

ثالثـًا: الإكثارُ من النوافل.

فإذا سلكَ العبدُ هذا الطريقَ، وحقَّق الأمورَ الثلاثةَ أحبَّه الله، فإذا أحبَّه سدَّدَه وسَخَّرَه لطاعتِه، وجعلَ جوارِحَه كلّها في خدمة دينِه، وأعطاهُ سُؤْلَهُ وَأَجَابَ دَعْوَتَهُ.

قسم السمعيات

علامات الساعة

علاماتُ الساعةِ الصغرىٰ

علاماتُ الساعةِ الصغرىٰ كثيرةٌ أوصلَهَا بعضُهم إلىٰ ثلاثمائة منها:

١. **بعثةُ نبينا** ﷺ: في حديث سهل بن سعد ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: ((بعثتُ أنا والساعة كهاتينِ: وَقرَن بين السبابةِ والوسْطَىٰ))[1].

٢. **خروجُ النَّارِ**: عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: ((لا تقومُ السَّاعةُ حتىٰ تخرجَ نارٌ من أرضِ الحجاز تضيءُ أعناقَ الإبلِ ببُصْرىٰ))[2] وهِيَ (بلدٌ علىٰ مَقْربةٍ من دِمَشق)، وقد وقعت كما حدَّثَ عنها ﷺ.

٣. عن عوف بن مالك ﷺ أنَّه قال: أتيتُ النبيَ ﷺ في غزوةِ تبوكَ وهُوَ في قبةٍ من أَدَمٍ (من جلد) فقال: ((اعدد ستًا بين يدي الساعة:

* موتي.
* ثم فتحُ بيتِ المقدسِ.
* ثم مَوَتَانٌ يأخذُ فيكم كقُعاصِ الغنمِ (دود صغير يظهر في رؤوس الغنم فيهلكها).
* ثم استفاضةُ المالِ (أي كثرته) حتىٰ يُعْطَىٰ الرجلُ مائةَ دينارٍ فيظلُّ ساخِطًا.
* ثمَّ فتنةٌ لا يبقىٰ بيتٌ من العربِ إلا دخَلَتْهُ.

---

(١) البخاري (٦٥٠٥).

(٢) البخاري (٧١١٨).

* ثم هدنةٌ تكون بينكم وبين بني الأصفرِ (الروم) فَيَغْدرُون، فيأتُونكم تحتَ ثمانينَ غَايَةَ (راية) تحتَ كلِّ غايةٍ اثنا عشرَ ألفـًا))[1].

٤. **قتال المسلمينَ لليهودِ**: عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: ((لا تقومَ الساعةُ حتَّىٰ يُقَاتلَ المسلمونَ اليهودَ، فيقتلَهُم المسلمون، حتَّىٰ يختبئَ اليهوديُّ من وراءِ الحجرِ والشجرِ، فيقول الحجرُ أو الشجرُ: يا مسلمُ يا عبدَ اللهِ هذا يهوديٌّ خلفي فتعالَ فاقتله، إلا الغرقد فإنَّه مِنْ شجرِ اليهود))[2].

٥. **غربة الإسلام**: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولَ الله ﷺ: ((بدأ الإسلامَ غريبـًا وسيعود غريبـًا كما بَدأَ غريبـًا فطوبىٰ للغرباء))[3].

وفي رواية عمرو بن عوف ﷺ: قيل: مَن هم يا رسول الله؟ قال: ((الذين يُصْلِحُون ما أفسد النَّاس من سنَّتي))[4].

وفي رواية عن ابن مسعود وأبي أمامة وسهل بن سعد ﷺ: ((الذين يَصلُحون إذا فسد الناس)).

وفي روايةٍ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: ((قومٌ قليلٌ في ناسِ سوءٍ كثيرون، مَنْ يعصِيهِم أكثرُ ممَّن يطيعهم))[5]. وفي رواية: ((الفرّارون بدينهم)).

---

(١) البخاري (٣١٧٦).

(٢) مسلم (٢٩٢٢).

(٣) مسلم (١٤٥).

(٤) الترمذي (٢٦٣٠).

(٥) الإمام أحمد (٦٣٦٢).

٦. عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: ((يكونُ في آخر هذه الأُمَّة خسفٌ ومسخٌ وقذفٌ -أي رَميٌ بالحجارة- قلتُ: يا رسول الله! أنهْلِكُ وفينا الصالحونَ؟ قال: نعم إذا كثر الخَبَثُ)) يعني المعاصي[1].

وفي رواية عمران بن حصين ﵁: فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله، ومتىٰ ذاك؟ قال: ((إذا ظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور))[2]. والقينات: المغنيات، والمعازف: آلات اللهو والطرب.

(١) الترمذي (٢١٨٥).

(٢) الترمذي (٢٢١٢).

علامات الساعة الكبرىٰ

أولاً: ظهور المهدي

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال ﷺ: ((لا تذهبُ الدنيا حتَّىٰ يملكَ العربَ رجلٌ من أهل بيتي، يُواطِئُ اسمُهُ اسمِي))[1].

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال ﷺ: ((لو لمْ يبقَ من الدنيا إلا يومٌ لطوَّلَ اللهُ ذلكَ اليومَ حتَّىٰ يليَ رجلٌ من أهل بيتي، يُواطئُ اسمُهُ اسمِي))[2].

وفي رواية (فَيَمْلأُ الأرضَ عدلاً وقِسْطاً كما مُلئَتْ ظلماً وجَوْرَاً))[3].

وعن أم سلمة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ((يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلىٰ مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأىٰ الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه. ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثا، فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب. فيقسم المال، ويعمل في الناس بسنة نبيهم ﷺ، ويلقي الإسلام بجرانه إلىٰ الأرض، فيلبث سبع سنين، ثم يتوفىٰ ويصلي عليه المسلمون))[4].

---

(١) الترمذي (٢٢٣٠).

(٢) الترمذي (٢٢٣١).

(٣) أبو داود في سننه (٤٢٨٢).

(٤) أبو داود في سننه (٤٢٨٦).

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدبارا، ولا الناس إلا شحا، ولا تقوم الساعة إلا علىٰ شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسىٰ ابن مريم))[1].

قال القرطبي في التذكرة:

فقوله: ((ولا مهدي إلا عيسىٰ)) يعارض أحاديث هذا الباب، فقيل: إن هذا الحديث لا يصح... والأحاديث عن النبي ﷺ في التنصيص علىٰ خروج المهدي من عِتْرَتِه من ولد فاطمة ثابتةٌ أصح من هذا الحديث، فالحكم بها دونه، والله أعلم.

... قال أبو الحسن السِجْزِي: قد تواترت الأخبارُ، واستفاضت بكثرةِ رواتها عن المصطفىٰ ﷺ بمجيء المهدي، وأنّه من أهلِ بيته، وأنَّه سيملكُ سبعَ سنين، وأنّه يملأ الأرض عدلاً، وأنَّه يخرجُ مع عيسىٰ عليه الصلاة والسلام، فيساعده علىٰ قتل الدجال بباب لِدٍّ بأرضِ فلسطين، وأنه يَؤُمُّ هذه الأمَّة وعيسىٰ عليه الصلاة والسلام يصلي خلفه، في طول من قصته وأمره.

قلت: ويتحمل أن يكون قوله ((ولا مهدي إلا عيسىٰ)) أي لا مهدي كاملا معصوما إلا عيسىٰ ابن مريم ﷺ، وعلىٰ هذا تجتمع الأحاديث ويرتفع التعارض، والحمد لله)[2].

وعن جابر ﷺ قال: سمعت رسولُ الله ﷺ يقول: ((لا تزال طائفةٌ من أمتي يُقاتلون علىٰ الحقِّ، ظاهرين إلىٰ يوم القيامة، قال: فينزل عيسىٰ ابن مريمَ عليه الصلاة والسلام فيقول

(١) ابن ماجه (٤٠٣٩).

(٢) التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة (١/ ٦٩٩).

أميرُهم: تَعَالَ صلِّ بنا فيقول: لا إنَّ بعضكم علىٰ بعضٍ أُمراءُ تَكْرُمَةَ الله هذه الأُمّة))[1]. وفي مسند الحارث بن أبي أسامة عن جابر ﷺ مرفوعا: ((فيقول أميرهم المهدي)).

ثانيًا: ظُهورُ الدجالِ

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((لا تقومُ الساعة حتىٰ ينزل الرومُ بالأعماقِ أو بدابِقٍ، فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذٍ، فإذا تصافُّوا قالت الرومُ: خَلُّوا بيننا وبين الذين سَبَوا منَّا نُقَاتِلْهُم. فيقول المسلمون: والله لا نَخَلِّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فَيَنْهَزِمُ ثلثٌ لا يتوبُ الله عليهم أبداً، ويُقتَل ثلثُهم أفضلُ الشهداءِ عند الله تعالىٰ، وَيَفْتَتِحُ الثُلثُ لا يُفْتَنُون أبداً. فيَفْتَتِحُونَ قُسطنطينيةَ، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علَّقوا سيوفهم بالزيتونِ، إذ صاحَ فيهم الشيطانُ: إنَّ المسيحَ قد خَلَفَكم في أهلِيكم، فَيَخْرُجُونَ وذلك باطلٌ، فإذا جاؤُوا الشَامَ خَرَج، فبينما هم يُعِدُّونَ للقتال، يُسوُّونَ الصفوفَ، إذْ أقيمت الصلاةُ فينزل عيسىٰ ابنُ مريم فأَمَّهم، فإذا رآه عدوُّ اللهِ ذابَ كما يذوبُ الملح في الماء، فلو تركه لانْذَابَ حتىٰ يَهْلِك، ولكِنْ يقتُلُهُ الله بيدِهِ فيرِيهِم دَمَه في حربتِه))[2].

عن النواس بن سمعان ﷺ قال: ذَكَرَ رسول الله ﷺ الدّجال ذاتَ غداةٍ فخفَض فيه ورفَع، حتىٰ ظَنناهُ في طائفةِ النَّخْلِ، فلما رحنا إليه عَرَفَ ذلكَ فينا، فقال: ((ما شأْنُكُم؟))

قلنا: يا رسول الله ذكرتَ الدجالَ غَدَاةً فخفضت ورفعت حتىٰ ظننا في طائفة النخل. فقال: ((غيرُ الدجال أَخْوَفُني عليكم، إنْ يخرجْ وأنا فيكم، فأنا حجيجُهُ دونَكم، وإنْ يخرجْ

(١) مسلم (١٥٦).

(٢) مسلم (٢٨٩٧).

ولست فيكم فامرؤٌ حجيجُ نفسِه، واللهُ خليفتي علىٰ كل مسلم، إنه شابٌّ قَطَطٌ (شديد جعودة الشعر) عينُه طَافِئة (أي ذهب نورها، أو ناتئةٌ بارزةٌ، وفيها بصيصٌ من نور) كأني أشبهه بعبد العزَّىٰ بنِ قَطَنٍ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنّه خارجٌ خلةً بين الشأمِ والعراقِ، فعاثَ يمينًا وعاثَ شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا)).

قلنا: يا رسول الله وما لَبْثُه في الأرض؟ قال: ((أربعون يومـًا، يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وسائرُ أيامهِ كأيامكم)).

قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاةُ يوم؟ قال: ((لا، اقدُروا له قدْرَهُ)).

قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: ((كالغيث استدبَرَتْهُ الريحُ فيأتي إلىٰ القوم فيَدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمُرُ السماءَ فتمطرُ، والأرضَ فتنبتُ، فتروح عليهم سارِحَتُهُم (ماشيتهم) أطولَ ما كانت ذراً (الأسنمة)، وأسبغه ضروعـًا (أطوله لكثرة اللبن)، وأمَدَّهُ خَوَاصِر (لكثرة امتلائها)، ثم يأتي القومَ فيدعوهم، فيَرُدُّون عليه قولَه، فينصرف عنهم، فيصبحون مُمْحِلِين، ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم، ويَمُرُّ بالخَرِبَةِ (الموضع الخراب) فيقول لها: أخرجي كنوزَك، فتتبعَهُ كنوزُها كيَعَاسِيبِ النحلِ، ثم يدعو رجلاً ممتلئـًا شبابـًا (في عنفوان شبابه)، فيضربُه بالسيف فيقطعه جَزْلَتَينِ، رَمْيَةَ الغَرَضِ (قطعتين متساويتين)، ثم يدعوهُ فيقبلُ ويتهلَّلُ وجهُهُ يضحكَ)).

ثالثًا: نزول المسيح

((فبينما هو كذلك[1] إذ بعثَ الله تعالىٰ المسيحَ ابن مريم عليه السلام، فينزل عند المنارة البيضاءِ، شرقيَّ دمشقَ، بين مَهْرُودَتَين (المهرودة: الثوب المصبوغ) واضعًا كفيه علىٰ أجنحة مَلَكين، إذا طَأْطَأَ رأسَه قطرَ (أي الماءُ منه) وإذا رَفَعَه تَحدَّرَ منه جُمَانٌ كاللؤلؤ، فلا يَحِلُّ لكافرٍ يجدُ رِيح نَفَسِهِ إلا مات، ونَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طَرْفُه، فيطلبه حتىٰ يدرِكَهُ بباب لدٍّ (بلدةً قريبةً من بيت المقدس) فيقتُلُهُ.

ثم يأتي عيسىٰ ابن مريم عليه السلام قومٌ قد عَصَمَهُم اللهُ مِنْهُ فيمسحُ عن وجوهِهِم، يُحَدِّثُهُم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلكَ إذ أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ عيسىٰ عليه السلام إنّي قد أخرجتُ عباداً لي لا يَدانِ (أي لا طاقة) لأحدٍ بقتالهم فَحَرِّز عبادي إلىٰ الطور)).

وفي الحديث عن حُذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال ﷺ: ((إنَّ الدجال يخرجُ وإنَّ معه ماءً وناراً، فأمَّا الذي يراه الناس ماءً فنارٌ تُحرِقُ، وأَمَّا الذي يراه النَّاس ناراً فماءٌ باردٌ عذبٌ، فمَنْ أَدْرَكَ ذلكَ منكم فليَقَع في الذي يراهُ ناراً فإنَّه ماءٌ عذبٌ طيبٌ))[2].

وفي الحديث عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((ليس من بلدٍ إلا سَيطَؤُه الدَّجالُ إلا مكةَ والمدينةَ، وليس نَقْبٌ من أنقابِهَا (أي خرق) إلا عليه الملائكةُ صافِّينَ تَحْرُسُهَا، فينزل

(١) تتمة الحديث السابق: حديث النواس بن سمعان.

(٢) مسلم (٢٩٣٤).

بالسَّبْخَة (الأرض الرملة التي لا تنبتُ لملوحتها) فترْجُفُ المدينةُ ثلاثَ رَجَفَاتٍ يَخْرُجُ إليهِ مِنْها كلُّ كافرٍ ومنافقٍ))[1].

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((والذي نفسي بيده ليوشكن أنْ ينزلَ فيكم ابنُ مريم عليه الصلاة والسلام حكماً مقسطاً، فيكسرُ الصليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، ويضعُ الجزيةَ (أي يُبطِلها فلا يقبل إلا الإسلام)، ويفيضُ المالُ (أي يكثر) حتىٰ لا يقبله أحد، حتىٰ تكون السجدةُ الواحدةُ خيراً من الدنيا وما فيها))، ثم قال أبو هريرة ﷺ راوي الحديث: واقرؤوا إنْ شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[النساء:١٥٩] [2].

مدة بقاء عيسىٰ عليه الصلاة والسلام في الأرض:

رجح بعض العلماء أن سيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام رفع إلىٰ السماء وهو ابن ثمانين سنة.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنْ رسول الله ﷺ قال: ((يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ، فَيَبْعَثُ اللهُ عيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ ريحاً بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلاَ يَبْقَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ، حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَقْبِضَهُ،.. قَالَ: فَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وَأَحْلاَمِ السِّبَاعِ،

(١) مسلم (٢٩٤٣).

(٢) مسلم (١٥٥).

لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلاَ يُنْكِرُونَ مُنْكَراً، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلاَ تَسْتَجِيبُونَ، فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ))[1].

رابعًا: خروج يأجوج ومأجوج

((ويبعثُ اللهُ[2] يأجوجَ ومأجوجَ وهم من كل حدبٍ ينسلون، فيمرُّ أوائلهم علىٰ بحيرة طبريَّة، فيشربون ما فيها، ويمرّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرةً ماءٌ، ويُحْصَرُ نبيُّ اللهِ عيسىٰ عليه الصلاة والسلام وأصحابُهُ حتىٰ يكون رأس الثَّورِ لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليومَ، فيرغبُ نبي الله عيسىٰ عليه السلام وأصحابه فيُرسِل اللهُ عليهم النَّغفَ (دودٌ) في رقابهم، فيُصْبِحُون فرسىٰ (جمع فريس: قتيل) كموتِ نفسٍ واحدة، ثم يهبط نبيُّ اللهِ عيسىٰ عليه السلام وأصحابُه إلىٰ الأرضِ، فلا يجدون في الأرض موضعَ شبرٍ إلا ملأه زَهَمُهُم ونَتنُهم، فيرغب نبي الله عيسىٰ عليه السلام وأصحابه إلىٰ الله تعالىٰ، فيرسِلُ اللهُ عليهم طيراً كأعْنَاقِ البُخت، فتحمِلهُم فتطرحَهُم حيثُ شاءَ الله، ثم يُرْسِلُ الله عز وجل مطراً لا يَكنُّ منه بيتُ مَدَرٍ (الطين الصلب)، ولا وبرٍ (خباء)، فيغسِل الأرضَ حتىٰ يترُكَهَا كالزَّلَقَة (ورُوي الزلفة وهي المرآة) ثمَّ يُقال للأرضِ: أنبتي ثمرتَكِ، وردِّي بركَتَكِ، فيومئذٍ تأكُلُ العِصَابَة من الرمانة، ويستظلون بقَحْفِها (قِشْرِهَا)، ويُبَارَك في الرِّسْلِ (اللبن)، حتىٰ إن اللَّقحة من الإبل (أي القريبة العهد من الولادة وهي الحلوب) لتَكْفِي الفِئامَ (الجماعة) من النّاسِ، واللّقحة من البقر لتكفي القبيلةَ من الناس، واللّقحةَ من الغنم لتكفي الفَخِذَ (الجماعة من الأقارب) من الناس،

(١) مسلم (٢٩٤٠).

(٢) تتمة الحديث السابق: حديث النواس بن سمعان.

فبينما هم كذلك إذ بعث الله تعالىٰ ريحًا طيِّبة فتأخذهم تحت آباطهم، فَتَقْبِضُ روحَ كلِّ مؤمنٍ وكلّ مسلمٍ، ويبقىٰ شرارُ الناسِ يتهارجونَ فيها تَهَارُجَ الحُمُرِ فعليهم تقومُ السَّاعةُ))[1].

وفي الحديث عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((لا تقومُ السَّاعةُ حتَّىٰ لا يُقَالَ في الأرضِ اللهُ اللهُ))[2].

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تقومُ السَّاعةُ إلا علىٰ شرارِ الخَلْقِ))[3].

خامسًا: طلوع الشمس من مغربها

وهيَ بعد موتِ عيسىٰ عليه الصلاة والسلام ولا أدري التحديد، وروي أنها حين تغرب تمسك عن ظهورها ليلة طويلة قدر ثلاث ليال، ويفزع الناس من طول تلك الليلة. وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ حين غربت الشمس: ((أتدرون أين تذهب هذه؟ قلتُ: لا، الله ورسوله أعلم، قالَ: فإنَّها تذهبُ حتىٰ تسجدَ تحتَ العرش، فتستأذِن فيُؤْذَن لها، ويوشِكُ أن تسجدَ فلا يُقْبَل منها، وتستأذِنَ فلا يُؤذن لها، يُقَالُ لها: ارجعي من حيث جئتِ فتَطْلَعُ منْ مغرِبِها))[4]، فعند ذلك يغلق باب التوبة.

---

(١) مسلم (٢٩٣٧).

(٢) مسلم (١٤٨).

(٣) مسلم (١٩٢٤).

(٤) البخاري (٣١٩٩).

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ أولَ الآياتِ خروجًا (أي الآيات غير المألوفة): طلوعُ الشمس من مَغْرِبها، وخروجُ الدَّابةِ علىٰ النّاس ضُحَىٰ، وأَيُّهُما كانتْ قَبل صاحِبَتِها فالأخرىٰ علىٰ إِثْرِهَا قريبًا))[1].

وجاء في روايات عديدة أن مدة مكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرون سنة.

سادسًا: خروجُ الدَّابّة

تُكلِّم الناسَ، ورجَّح الحافظ ابن حجر[2] أنَّها بعد طلوعِ الشمسِ من مغربها تكميلاً للمقصودِ من إغلاقِ بابِ التوبة.

سابعًا: وآخرُ ذلك نارٌ تخرج من اليمن

تطردُ الناسَ إلىٰ محشرهم، تُقيل معهم حيث قَالَوا، وتبيتُ معهم حيث باتوا، وبعد ذلك موتُ المسلمينَ بريحٍ تخرج من اليمن.

وعن حذيفة بن أسيدٍ الغِفَاريّ ﷺ قال: اطّلع علينا النبي ﷺ ونحنُ نتذاكر فقال: ((ما تذاكرون؟)) قالوا: نَذْكُرُ السَّاعة، قال: ((لنْ تقومَ حتىٰ تَرَوا قبلَها عشرَ آياتٍ، فذكر: الدُّخان (يملأ الأرض ويخرج من أنف الكافر وعينيه وأذنه وفمه ودبره، ويصيب المؤمن منه كهيئة زكام، ويمكث أربعين يوما)، والدَّجَال، والدَّابة، وطلوعَ الشمس من مغربها، ونزولَ عيسىٰ ابن مريم عليه السلام، ويَأجوج مأجوجَ، وثلاثةَ خُسُوفٍ: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ

(١) مسلم (٢٩٤١).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٣٥٣).

بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخرُ ذلك نارٌ تخرج مِنَ اليمنِ تَطْرُدَ النَّاسَ إلىٰ محْشَرِهِم))[1]. وفي رواية: ((وَنَارٌ تَخْرُجُ مِن قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ)). وفي رواية: ((تَنزِل معَهُم إذا نزلوا، وتَقِيل معهم إذا قَالُوا)). (قَالُوا: أي نَامُوا، والقيلولة: النوم في منتصف النهار).

ويبدو من الأحاديث أن خروج النارِ من اليمنَ، أو مِنَ الشام تسوق الناس إلىٰ المحشر هي آخر العلامات.

ويُستفاد مِنَ الأحاديث ترتيبُ بعضِ علامات الساعة:

فأولها: خروج المهدي ويبقىٰ سبعَ سنين.

وثانيها: خروجُ الدّجّالِ، ويمكث في الأرض أربعينَ يومـًا ففي الحديث عن النواس ابن سَمْعَان ﷺ: ((قلنا: يا رسول الله وما لبثُهُ في الأرض؟ قال: أربعونَ يومـًا، يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائرُ أيامِه كأيَّامِكُم، قلنا: يا رسول الله فذلك اليومُ الذي كَسَنَةٍ أتكفينا فيه صلاةُ يومٍ؟ قال: لا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ))[2].

وثالثها: نزولُ عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام عِنْدَ المنارة البيضاء، شرقي دمشق، فينزلُ علىٰ أجنحةِ مَلَكَين وَقْتَ صلاةِ الصُبْحِ، ويصلي خلفَ المهدي، ويكونُ الدّجّال محاصرًا أهل بيت المقدس وبابُه مغلق، فيقول: افتحوا البابَ، فيفتحونه فيراهُ الدَّجالُ فيولِّي هاربـًا هو ومَنْ مَعَهُ، فيخرج عيسىٰ والمهدي في طلبه، فيقتلُه عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام بباب لدّ قُرب الرَمْلة، ويحكم

(١) مسلم (٢٩٠١).

(٢) مسلم (٢٩٣٧).

بشريعة نبينا محمد ﷺ، ويكثر الأمنُ والرخاءُ والخصبُ والبركة، ويمكثون علىٰ هذه الحال أربعين سنةً، ويموت المهدي، ويصلِّي عليه عيسىٰ عليه الصلاة والسلام، ويدفنه ببيتِ المقدس.

ثمَّ يموت عيسىٰ بالمدينة، ويُدفَنُ بجوارِ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والله أعلم.

ورابعها: خروجُ يأجوج ومأجوج: وهم من وَلد يافثْ بن نوح عليه الصلاة والسلام.

[الخسوفات والدخان والريح الطيبة]: وقد عدَّ في الحديث الصحيح: الخسوفات الثلاثة، ولمْ أطَّلِع علىٰ ترتيبٍ لها، وكذلك الدُّخان، وذكر في صحيح مسلم: ((ريح طيبة تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة))، ويبدو أنها متأخرة بعد وفاة عيسىٰ بسبع سنين.

وخامسها: طلوع الشمس من مغربها

وسادسها: خروجُ الدَّابّة

وسابعها: وآخرُ ذلك نارٌ تخرج من اليمن

وقد عد صاحب تنوير القلوب من علامات الساعة الكبرىٰ:

١. رفع القرآن والعلوم النافعة من السطور والصدور ورجوع أهل الأرض كفارا.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقىٰ من دينكم الصلاة، ولَيُصَلِّيَنَّ قوم لا دين لهم، ولَيُنزَعنّ القرآن من بين أظهركم). قال: يا أبا عبد الرحمن: ألسنا نقرأ القرآن وقد أثبتناه في مصاحفنا؟ قال: (يسري علىٰ القرآن ليلا ويذهب من أجواف الرجال، فلا يبقىٰ في الأرض منه شيء)[1].

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨٧٠٠).

٢. انهدام الكعبة علىٰ أيدي الحبشة.

النفخ في الصور

عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: ذَكَرَ رسول الله ﷺ الدجَّال ثُمَّ الساعة، فقال: ((ثم ينفخُ في الصور، فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغىٰ لَيْتًا، ورفع لَيْتًا (اضطرب ومات فاسترخىٰ رأسهُ، والليتُ: صَفْحَةُ العنق)، وأوَّلُ مَنْ يسمَعُهُ رجلٌ يَلُوطُ حَوضَ إبلِهِ (أي يُطينه)، فيصعق ويَصعَقُ النَّاس، ثُمَّ يُنزل الله مطراً كأنه الطَّلُّ (قَطْر الندىٰ) فتنبتُ منه أجساد النّاس، ثُمَّ يُنفخ فيه أخرىٰ فإذا هم قيامٌ ينظرون، ثُمَّ يُقال: يا أيها الناس هلمّوا إلىٰ ربِّكم ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[الصافات:٢٤]، ثُمّ يُقال: أخرجوا بعثَ النار فيقال: مِنْ كمْ؟ فيُقالُ: من كلّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةٌ وتسعون، قال: فذلك ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[المزمل:١٧]، وذلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[القلم:٤٢](١).

وفي الحديث: ((لَتَقُومَنَّ الساعةُ، وقد انصرف الرجلَ بلبن لَقْحتِه (أي ناقته القريبة النتاج) فلا يَطْعَمُهُ، ولتقومَنَّ الساعةُ وهو يُلِيطُ حوضه فلا يَسْقِي فيه، ولتقومَنَّ السَّاعةُ وقد رفع أُكلَته (أي لقمته) إلىٰ فيهِ فلا يَطْعَمُها))(٢).

قال في تنوير القلوب: ومما يجب الإيمان به النفخ في الصور.

قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الزُمَر:٦٨]، فَصَعِق: أي خَرَّ ميتًا مَنْ كان مِنَ الأحياءِ وقتئذٍ.

---

(١) مسلم (٢٩٤٠).

(٢) البخاري (٧١٢١).

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فإنّهم لا يموتون عند النفخةِ كغيرهم، بل يموتون بعدها، ويَحْيَوْن قبل النفخة الثانية.

وحملة العرش، وخزنة الجنة والنار، والحور، والولدان، والشهداء، فإنهم يكونون في شغل بنعيمهم عن هول تلك النفخة.

هذا وقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القَصَص: ٨٨] إن كان المراد بالهلاك فيه قابلية الفناءِ بالذات فالعموم علىٰ ظاهره؛ لأنَّ كلَّ ما عداه تعالىٰ ممكنُ الوجود قابلٌ للعدم، وإنْ كانَ المراد به عدم الانتفاعِ به بالإماتة أو تفريق الأجزاء، استُثْنِيَ منه العرش والكرسي واللوحُ والقلمُ والجنةُ والنارُ ومن فيهما والأرواحُ.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾[الزمر:٦٨]. وهي النفخة الثانية، وذلك بعد أن يأمر الله السماء أنْ تمطرَ، فينزل منها ماءٌ فينبتون منه كما ينبتُ البقل.

وبين النفختين أربعون سنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((بين النفختين أربعون))[1]. وعند ابن المبارك عن الحسن مرفوعا: ((بين النفختين أربعون سنة: الأولىٰ يميت الله بها كل حي، والأخرىٰ يحيي الله بها كل ميت))[2].

قال ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري[3]:

---

(١) البخاري (٤٥٣٦).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٣٧٠).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٣٥٣).

- إنَّ خروجَ الدجال أولُ الآيات العظامِ المُؤْذِنَةِ بتغيير الأحوال العامة في معظمِ الأرض.
- وإنّ طلوعَ الشمس من مغربها هو أول الآياتِ العظام المُؤْذِنَةِ بتغييرِ أحوال العالمِ العلويّ.
- وإنَّ خروجَ النار أولُ الآيات المؤذنةِ بقيام الساعةِ.

الإيمان باليوم الآخر وما يلتحق به

الموت حقٌّ

قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران:١٨٥]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزُّمَر:٣٠].

والموت علىٰ الوجه المعهود شرعًا من فراغ الآجال المقدرة قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[الأعراف:٣٤].

ويقبض الروح رسول الموت، وهو عزرائيل عليه الصلاة والسلام، ومعناه عبد الجبار، وهو مَلَكٌ عظيم هائل المنظر مفزِعٌ جداً.

وله أعوان بعدد مَن يموت، لكنه يترفَّق بالمؤمن، ويأتيه في صورة حسنة، فقد ورد ذلك بأحاديث صحيحة.

والقتيل يموت بأجله، وبعد أن يُقتَل نقول: لو لم يقتل لمات قطعًا.

وفي الحديث: ((إنَّ رُوحَ القُدُسِ نفث في رُوعِي أنَّ نَفْسًا لن تموتَ حتىٰ تستكملَ رزقَها، فاتقوا اللهَ وأَجْمِلُوا في الطلبِ))[1].

(١) ابن أبي شيبة (٣٥٤٧٣)، والحاكم (٢١٣٦)، والبيهقي في الشعب (١٠٣٧٦).

وما ورد في بعض الأحاديث عن زيادة العمر بسبب صلة الرحم وغيرها لا يعارض النصوص القطعية، فهو محمولٌ إما علىٰ القضاء المعلَّق وما تطّلع عليه الملائكة، أو الزيادة فيه بحسب الخير والبركة، وأما في علم الله الأزلي فلا يتغيَّر شيء.

ورجَّحَ الإمام السبكي بقاء الروح، وأنها مستثنىٰ من قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القَصَص:٨٨].

والمشهور أيضـًا أن عجْبَ الذَّنَب (وهو عَظْمٌ كالخرْدَلَةِ في آخر سلسلة الظَّهْر في العُصْعُصِ مختصّ بالإنسان) لا يفنىٰ، لما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ في الإنسان عظمـًا لا تأكله الأرض أبداً، فيه يُرَكَّب الخلق يوم القيامة، قالوا: أيَّ عظم هو يا رسول الله؟ قال: عَجْبُ الذَّنَب))[1].

وقال بعض العلماء: إنَّ العموم في ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القَصَص:٨٨]؛ أريد به الخصوص، أو عام مخصوص في غير الأمور الواردة في الأحاديث، كالروح وعَجْب الذنب، وأجساد الأنبياء والشهداء، والعرش، والكرسي، والجنّة، والنّار، والحور العين، وغير ذلك.

وورد: ((إذا مات العبد قامت قيامته))[2]، فالموت انتقال من الحياة الدنيا التي هي دار العمل إلىٰ دار الجزاء.

---

(١) مسلم (٢٩٥٥).

(٢) رواه الديلمي عن أنس ﷺ مرفوعا.

[أطوار الحياة]

ومنَ المعلومِ أنَّ الإنسانَ يَمُرُّ في أربعةِ أطوارٍ منَ الحياةِ:

أ. حَيَاتُه وهُوَ جنينٌ:

يتغذىٰ عن طريقِ المشيمةِ، ويتنفَّسُ بتنفُّسِ أُمِّهِ.

ب. حَيَاتُهُ وهو طِفلٌ:

يَتَغَذَّىٰ عنْ طريقِ الفمِ، ويتنفس عن طريقِ الأنفِ، وهذه هي الحياة الدنيا.

ج. حياته وهو في القبر:

في البرزخ يتنعَّم أو يتعذَّب، وهذه الحياة تختلف كثيراً عن الحياة الدنيا، والبرزخ أول عالَم مِن عوالِم الآخرة، ويبتدئ بالموت بالنسبة لكل إنسان، وبالموت عند النفخة الأولىٰ التي تبتدئ بالفزع وتنتهي بالصعق، أي الموت.

وبين النفخة الأولىٰ والنفخة الثانية التي تحيا بها الخلائق أربعون قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: ((ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومـًا، قال: أَبَيْتُ، قالوا: أربعون شهراً، قال: أَبَيْتُ، قالوا: أربعون سنة، قال: أَبَيْتُ، وَيَبلىٰ كلّ شيء من الإنسان إلا عَجْب الذَّنَب، فيه يُركَّبُ الخلق))[1].

(١) البخاري (٤٨١٤).

وكان عثمان بن عفان ﷺ إذا وقف علىٰ قبر بكىٰ حتىٰ يَبُلَّ لحيتَه، فسُئِل عن ذلك وقيل له: تذكر الجنَّة والنَّار فلا تبكي، وتبكي إذا وقفت علىٰ قبر فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((إن القبر أول منازل الآخرة، فإنْ نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإنْ لم يَنْجُ منه فما بعده أشد))[1].

د. حَيَاتهُ في الآخرةِ:

وتبتدئ بالبعث عند النفخة الثانية.

السُؤَالُ في القبرِ

أُضِيف إلىٰ القبر باعتبار الغالب، وإلا فيُسأَل الميت ولو تمزَّقت أعضَاؤه، أو أكلته السباع في أجوافها، أو الطيور في حواصلها، أو السمك كذلك.

ويتولّىٰ السؤالَ منكر ونكير عليهما الصلاة والسلام فيَعْظُمَانِ حتىٰ يسألا الجميع بوقت واحد، أو إن للسؤال ملائكة كثيرين.

ويُسأَلُ الميت عن ربه، وعن دينه، وعن نبِيِّه، وقيل: يُسْأَلُ عن أعماله.

ويقال له: مَن هذا الرجل الذي بُعث فيكم وفي الخلق أجمعين؟

فالمؤمن يقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبيِّنَات من ربه فاتّبعناه وآمنَّا به. فيُقال له: نَمْ كما تنام العروس، ويُمَدُّ له في قبره سبعون ذراعـًا في سبعين ثم يُنَوَّر له في قبره.

---

(١) البيهقي في السنن (٧٣١٥).

والمنافق أو الفاجر يقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقُلْتُه. فيقال له: لا دَرَيتَ ولا تَلَيتَ.

ويضرب بمزربة لو اجتمع عليها أهل منىٰ ما أقلّوها، هي بيد أحدهم كالعصا.

وعن أنس رضي الله عنه قال ﷺ: ((ثُمَّ يُضْرَبُ بمطرقةٍ من حديدٍ ضربةً بين أذنيه فيصيح صيحةً يسمعها من يليه إلا الثقلين))[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: ((ويُقال للأرض الْتَئِمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتىٰ يبعثه الله من مضجعه ذلك))[2].

وهذا السؤال هو فتنة القبر، والأنبياء وشهداء المعركة لا يُسألون، وغير المكلّفين لا يُسألون.

وقال بعض العلماء: لا يُسأل الصِّدِّيقون، والشهداء، والمرابطون، الملازمون لقراءة سورة المُلْكِ كلَّ ليلة، وكذلك مَن قرأ سورة الإخلاص بمرض موته، ومريض البطن، والميت بالطاعون، والميت ليلة الجمعة أو يومها، والراجح أنَّهم يُسألون سؤالا خفيفًا.

عَذَابُ القَبْرِ

وإضافته للقبر لأنه الغالب، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه عُذِّبَ قُبِرَ أو لم يُقْبَرْ، ولو أَكَلَتْهُ الدَوَاب، أو غرق، أو احْتَرَقَ وصار رماداً، أو ذُرِيَ في الرياح.

---

(١) البخاري (١٣٣٨).

(٢) الترمذي (١٠٧١)، وابن حبان في صحيحه (٣١١٧).

وقد اتفق أَهلُ الحقِّ علىٰ أنّ المعذَّب هو البدن والروح جميعـًا، إذ جائز أن يخلق الله تعالىٰ في ذرّةٍ مَا أَشدّ الآلام وأَرقَىٰ اللذات.

ويكون هذا العذاب للكافر والمنافق وعصاة المؤمنين، ويدوم علىٰ الأَوَّلَيْنِ، وينقطع عن بعض عصاة المؤمنين، كما يُرْفع بالدعاء والصدقة وغير ذلك.

وكل من لم يسأل في القبر لا يعذّب.

وضغطةُ القبرِ مِنْ عَذَابِه، أي التقاء حافتيه حتىٰ تختلف أضلاع المُعَذَّب.

ولا ينجو من ذلك أحدٌ حتّىٰ الصّلحاء إلا الأنبياء، وفاطمة بنت أسد، أُمُّ علي بن أبي طالب. عن السّيدة عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: ((إنّ للقبر ضغطة، ولو كانَ أحدٌ ناجيـًا منها نجا منها سعد بن معاذ))[1] وهو الذي اهتز عرش الرحمن لموته، عن جابر قال: سمعت رسول الله يقول: ((اهتزَّ العَرْشُ لموتِ سعدِ بن معاذ))[2].

وقد أَمَرَ النَّبي ﷺ كلَّ مصلٍّ أنْ يقولَ قبل السّلام من الصلاة: ((اللهم إنّي أعوذ بك من عذاب جهنّم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومِن شرّ فتنة المسيح الدجال))[3].

(١) الإمام أحمد (٢٤٣٢٨).

(٢) البخاري (٣٨٠٣).

(٣) البخاري (٥٨٨).

نَعِيمُ القَبْرِ

لا يختص بالقبر فهو يشمل كل ميت قُدِّرَ له قَبْرٌ أو لَم يُقْبَر، ولا يختصُّ بالمؤمنين من هذه الأُمَّة، ومن النَّعيم توسعة القبر، وامتلاؤه بالريحان، وجعله روضة من رياض الجنَّة، وتنويره حتىٰ يغدو كالقمر ليلة البدر، وكلُّ هذا بما يتناسب مع عالم البرزخ، فقد ورد عن كعب الأحبار: أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ عليه الصلاة والسلام: ((تعلّم الخير وعَلِّمه النّاس، فإني منوِّرٌ لمُعلِّمِ العلم ومتعلِّمه قبورَهم حتىٰ لا يَستوحشوا لمكانهم))[1].

وكل هذا محمول علىٰ حقيقته بما يتناسب مع البرزخ.

وعذابُ القبر ونعيمُه وردَ في نصوصٍ بلغت مبلغ التواتر، ولا يُنْكِر ذلك إلا ملحد مطموس البصيرة.

وفي الحديث: ((إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار))[2].

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لولا أن لا تَدَافَنُوا لدعوتُ الله أن يُسمِعَكم مِنْ عذاب القبر))[3].

البَعْثُ

(١) أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٥).

(٢) الترمذي (٢٦٤٠).

(٣) مسلم (٢٨٦٨).

عبارة عن إحياء الله تعالىٰ الموتىٰ وإخراجهم من قبورهم، بعد جمعه تلك الأجزاء الأصلية، وهي التي شأنها البقاء من أول العمر إلىٰ آخره، ولو قطعت قبل موته، بخلاف التي ليس من شأنها البقاء.

الحَشْرُ

عبارة عن سوقهم جميعًا إلىٰ الموقف، وهو الموضع الذي سيقفون عليه من الأرض المُبدَّلة، التي لم يُعْصَ الله عليها لفصل القضاء بينهم ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم:٤٨].

وفي حديث سهل بن سعد ﷺ: ((يُحْشَر الناس يوم القيامة علىٰ أرضٍ بيضاء))(١) ولا فرق بين مَن يُجازَىٰ كالإنس والجن، وبين مَن لا يُجازَىٰ كالبهائم والوحوش.

والبعث والحشر للأبدان التي كانت في الدنيا بعينها لا كمثلها، وإلا كان المثاب أو المعذَّبُ غير الذي أطاع أو عصىٰ، وهو باطلٌ بالإجماع.

وفي حديث عائشة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: ((يُبعثُ النّاس يوم القيامة حفاةً عراةً غُرْلاً، فقَالَتْ عائشة ﷺ فكيف بالعورات؟ فقال ﷺ: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[عَبَسَ:٣٧](٢).

(١) البخاري (٢٧٩٠).

(٢) النسائي (٢٠٨٣).

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يُحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: ركبانـًا، ومشاة، وعلىٰ وجوههم))، فقال رجل: يا رسول الله، وكيف يمشون علىٰ وجوههم؟ قال: ((الذي أمشاهم علىٰ أقدامهم قادر علىٰ أن يُمشيَهم علىٰ وجوههم))(١).

وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن رَسول الله ﷺ قال: ((يَعرق النّاس يومَ القيامة حتىٰ يذهبَ عَرقُهُم في الأرض سبعين باعـًا، ويُلجِمُهم حتىٰ يبلغَ آذَانَهُم))(٢).

طُولُ الوقوفِ

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[السجدة:٥]، ويطول علىٰ الكافرين ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[المعارج:٤]، ويَقْصُرُ علىٰ قوم: ((والذي نفسي بيده إنه ليخفف علىٰ المؤمن حتىٰ يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا))(٣). وهناك أُناسٌ في ظلِّ عرش الله يوم لا ظلَّ إلا ظِلُّه.

وَصْفُ يومِ القيامةِ

يوم ترىٰ السماء فيه قد انفطرت، والكواكبَ مِن هَوْلِهِ قد انتثَرت، والنجومَ الزواهر قد انكدرت، والشمسَ قد كُوِّرت، والجبالَ قد سُيِّرت، والبحارَ قد سُجِّرت. ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ

(١) الترمذي (٣١٤٢).

(٢) البخاري (٦٥٣٢).

(٣) الإمام أحمد (١١٧٣٥)، وأبو يعلىٰ (١٣٩٠)، وابن حبان (٧٣٣٤) باختلاف يسير.

وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج:٢]، ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[النمل:٨٨]، ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾[القارعة].

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال ﷺ: ((يُؤتىٰ بجهنّم تُقاد بسبعينَ ألفِ زِمَامٍ، مع كلِّ زمامٍ سبعونَ ألف مَلَك))[1]، فلا يبقىٰ مَلَكٌ مُقَرّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ إلاّ قال: نفسي نفسي، حتّىٰ يُؤذَن لسيدنا محمد ﷺ في الشَّفَاعةُ العظمىٰ لِفَصْلِ القضاءِ، وانصراف النّاس من الموقفِ للحساب.

إخراج بعث النار

من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون يدخلون النار بدون حساب.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تسْعَ مائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج:٢]). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟

قَالَ: ((أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا،

(١) مسلم (٢٨٤٢).

فَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلاَّ كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ))[1].

إخراج بعث الجنة

ففي حديث أبي أُمَامة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((وَعَدَنِي ربي أن يُدخِلَ الجنّة من أُمَّتِي سبعين ألفًا، لا حساب عليهم ولا عذاب، مَعَ كلِّ ألفٍ سبعون ألفًا، وثلاث حَثَيَاتٍ من حثياته))[2]، والحثيات: الدفعات أي: أعطاني مَا لا أُحصي له عدداً، فهؤلاء يَدْخلون الجنَّة بغير حساب.

والباقون للحساب قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾[الغاشية]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[البَقَرَة:٢٠٢].

(١) البخاري (٣٣٤٨).

(٢) الترمذي (٢٤٣٧).

الحِسَابُ

والحسابُ عبارةٌ عن توقيفِ الله تعالىٰ العباد –قبل انصرافهم من المحشرِ– علىٰ أعمالِهم بأنْ يُكلِّمَهم في شأنِها، وكيفية ما لها من الثواب، وما عليها من العقاب، قال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[الحجر].

عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما مِنْكُم مِنْ أحدٍ إلا سيُكلّمه الله، ليس بينه وبين ربِّه تَرْجُمَان، فينظرُ أيمنَ منْهُ فلا يرىٰ إلا ما قَدَّمَ، ويَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فلا يرىٰ إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرىٰ إلاَّ النَّار تلقاءَ وجهِهِ، فاتَّقُوا النَّارَ ولو بِشقِّ تَمْرَةٍ))[1].

كيفية الحساب مختلفة: فمِنْهُ: اليسيرُ والعسير، ومِنْهُ السِّرُّ والجهرُ، ومِنْهُ الفضلُ والعدلُ، علىٰ حسب الأعمال، فيغفرُ لمن يشاءُ، ويعذِّبُ مَن يشاء. وأَوَّلُ مَن يحاسب هذه الأُمّة.

وحكمته: إظهار تفاوت المراتب في الكمال وفضائح أصحاب النقص.

والله سبحانه وتعالىٰ يُحاسب العباد علىٰ الأعمال، خيراً كانت أو شرّاً، قولاً كانت أو فعلاً، تفصيلاً بعدَ أخذ كتبهم، وهذا للكافر والمؤمن إنسـًا وجنّـًا إلا من استُثْنِيَ منهم، قال تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:٤٩].

(١) البخاري (٧٥١٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الحاقة].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[الإسراء].

وقال ﷺ: ((يُعْرَضُ الناسُ يومَ القيامةِ ثلاثَ عَرَضاتٍ، فأما عَرْضَتانِ: فجِدالٌ ومَعاذِيرُ، وأما العَرْضَةُ الثالثةُ: فعند ذلك تَطِيرُ الصحُفُ في الأَيْدِي، فآخِذٌ بيمينِه وآخِذٌ بشِمالِه))[1].

تَطَايُرُ الكُتُبِ

كلُّ إنسانٍ يأخذُ كتابه إلا الأنبياء، ومثلهم الملائكةُ لعصمتهم، ومَن يدخل الجنّة بغيرِ حسابٍ، ورئيسُهُم أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

* وكلُّ واحدٍ يقرأُ كتابَه، ولو كانَ أُمِّيًا قراءةً حقيقيةً.

* السيئة تُقَابَلُ بمثلها إنْ قُوْبِلَتْ.

* الحسنةُ تُقَابَلُ بِضِعْفِهَا بمحضِ فَضْلِ الله وكَرمِه.

(١) الترمذي (٢٤٢٥).

والمضاعفة أنواع:

١. قسمٌ يُضَاعَفُ إلىٰ عشرةٍ، وهو عمل البدن كالذِّكْرِ، ففي حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ حَرْفًا من كتابِ الله فلهُ بهِ حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أَمثَالِهَا، لا أَقُولُ الَم حَرف، ولكنْ ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ))[١].

٢. وقِسمٌ يُضَاعَفُ إلىٰ خَمْسَة عشر، في حديثِ عبد الله بن عمرو ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال له: ((صُمْ يومين ولكَ أجرُ ما بقي))[٢].

٣. وقِسمٌ بثلاثين، في الحديثِ السَّابقِ: ((صُمْ يومًا ولكَ أجرُ مَا بَقِي))[٣].

٤. وقسم بخمسين، في الحديث ((ومن قرأ حرفًا من كتابِ اللهِ في صلاةٍ قاعدًا كُتِبتْ له خمسون حسنةً))[٤].

٥. وقِسمٌ بسبعمائةٍ وهُوَ نفقةُ الأموالِ في سبيلِ اللهِ تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾[البَقَرَة:٢٦١].

٦. وقِسمٌ لا يَنْحَصِرُ وهُوَ عملُ القلبِ كالصبرِ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[الزُّمَر:١٠].

ومِمّا ينبغي أَنْ يُعْلَمَ أنَّ مراتبَ التضعيفِ متفاوتةٌ حسبَ ما يقترنُ العملُ بالإخلاصِ وحسنِ النّيةِ، وهذَا ظَاهر.

---

(١) الترمذي (٢٩١٠).

(٢) مسلم (١١٥٩).

(٣) مسلم (١١٥٩).

(٤) البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٨٥).

وممَّا يجبُ اعتقادُه أنَّ الله تعالىٰ يعفو عنْ كبائِرِ السيئاتِ بسببِ التوبةِ منها، ويَغْفِرُ الصغائرَ باجتنابِ الكبائِرِ، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[النساء:٣١].

وممَّا يجبُ اعتقادُه أنَّ مَنْ مَاتَ ولمْ يتبْ من الكبائِرِ غيرِ الكفرِ فهو تحتَ مشيئةِ اللهِ عز وجل إنْ شَاءَ عاقبهُ بعدلِهِ، وإنْ شاءَ غَفَرَ لَهُ بفضله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨].

وممَّا يَجِبُ اعتقادَهُ: تعذيبُ بَعْضٍ غيرِ معينٍ، مِنْ عُصاةِ المؤمنينَ، ارتكبَ كبيرةً من غيرِ تأويلٍ يُعذَرُ بِهِ، وماتَ ولمْ يتبْ، لورود ذلك شرعـًا.

وعندما تُطْلَقُ (هذه الأُمَّة) فالمرادُ بها أُمّةُ الإجابةِ، وهُمُ المؤمنونَ، وتضعِيفُ الحسناتِ خاصٌّ بِها.

والحاصلُ أَنَّ النَّاسَ علىٰ قسمين: مؤمنٌ وكافرٌ. فالكافرُ مخلّدٌ في النارِ أبداً. والمؤمنُ علىٰ قسمين: طائعٌ وعَاصِي، فالطَّائعُ في الجنّةِ قطعـًا، والعاصي علىٰ قسمين: تائب وغير تائب، فالتّائبُ في الجنّةِ قطعـًا، وغيرُ التائبِ علىٰ تقديرِ عذابِه لا يُخَلَّدُ في النَّارِ.

الميزانُ حقٌّ

وهو ميزانٌ حسيٌّ لهُ لسانٌ وكِفَّتَانِ كما ذَكَرَ ابنُ عباسٍ ﷺ. ونُمسِك عن تعيين حقيقته، إحداهما نيرة وهي اليمنىٰ المعدة للحسنات، والأخرىٰ مظلمة وهي اليسرىٰ المعدة للسيئات، قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾[الأنبياء:٤٧].

وأمَّا الموزونُ فهو صحفُ الأعمالِ لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ يَسْتَخْلِصُ رجلاً من أُمَّتِي علىٰ رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ، فَيَنْشُرُ لهُ تسعةً وتِسعينَ سِجِلاً، كلُّ سِجِلٍّ منها مدَّ البصرِ، فيقول: أَتنكِرُ مِنْ هذا شيئًا؟ أَظَلَمكَ كَتَبَتِي الحافظونَ؟ فيقول: لاَ يا ربِّ، فيقول: أَلَكَ عُذْرٌ؟ فيقول: لا يا ربِّ، فيقول: أَلَكَ حسنةٌ؟ فيقول: لا يا ربِّ، فيقول: بلىٰ إنَّ لكَ عندنا حسنة، وإنَّهُ لا ظُلْمَ عليكَ، فَتُخْرَجُ لهُ بطاقةٌ فيها أَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأَشْهَدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، فيقول: احضُرْ وَزْنَكَ. فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجِلاّتِ؟ فيقول: إنَّك لا تُظْلَمْ، فَتُوضَعُ السِّجِلاّتُ في كفةٍ والبطاقةُ في كفةٍ فَطَاشَتْ السِّجِلاتُ وثَقُلَت البطاقةُ، ولا يَثْقُلُ مع اسمِ اللهِ شيءٌ))[1].

وقالَ بعضُهُم: إنَّ الذي يوزنُ هوَ الأشخاصُ، وَيَسْتدِلُ لذلكَ بحديثِ أبي هريرة ﷺ عن رسول الله قال: ((إنّهُ ليأتِي الرجُلُ العظيمُ السمينُ يومَ القيامةِ لا يزِن عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ، اقْرَؤُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[الكهف:١٠٥][2].

وقالَ بعضُهُم: إنَّ الذي يوزنُ أعيانُ الأعمالِ.

وعَلَىٰ كلٍّ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[المؤمنون].

(١) الترمذي (٢٦٣٩)، والإمام أحمد (٦٦٩٩).

(٢) البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

الحَوْضُ

وَرَدَ أنَّ أطفالَ المسلمين حولَهُ، وعليهم أقبيةُ الدّيباج، ومناديل من نور، وبأيديهم أباريق من فضة، وأقداح من ذهب، يَسقُون آباءهم وأُمّهاتِهم الذين صبروا عند فَقْدِهِم، وأما الذين سخطوا فلا يُؤذَن لهم في سقيهم.

يَرِدُ علىٰ الحوضِ كلُّ مَنْ تَمَسَّكَ بالشَّريعةِ، ولمْ يُغَيِّرْ وَلَمْ يُبَدِّلْ، ولَمْ يَتَّخِذْ عقيدةً غيرَ ما علَيهِ ﷺ وأصحابُه، وَيُطْرَدُ المرتدُّونَ، والخوارجُ، والروافضُ، والمعتزلةُ، والظَّلَمَةُ الجائرونَ، والمُعْلِنُ بالكبائرِ، والمُستَخِفُّ بالمعاصي، وأهلُ الزيغِ والبدعِ، والكفَّارُ.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: ((حوضي مسيرةُ شهرٍ، وَزَوايَاهُ سَوَاءٌ، ماؤُهُ أبيضُ من اللّبنِ، وريحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المسكِ، وكِيزَانُهُ كنُجُومِ السَّماءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فلا يَظْمَأُ أبداً))[1]، وفي روايةٍ: ((ماؤُهُ أشدُّ بياضاً مِنَ اللّبَنِ، وأَحْلَىٰ منَ العَسَلِ)).

عن أنسٍ رضي الله عنه عن النّبي ﷺ قال: ((ما بينَ لاَبَتَيْ حَوضِي مِثْلَ ما بَيْنَ المَدِينَةِ وصَنْعَاء، أَو مِثْلَ ما بينَ المدينةِ وَعمَّان))[2].

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَىٰ إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: ((أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[الكوثر]))، ثم قَالَ: ((أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟)) فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنيه رَبِّي عَزَّ

(١) البخاري (٦٥٧٩). وأخرجه مسلم (٢٢٩٢).

(٢) مسلم (٢٣٠٣).

وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ))[1].

الصِّرَاطُ حَقٌّ

وَرَدَ في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال عن الصراط: ((إنّه أَدَقُّ من الشعرةِ، وأَحَدُّ مِنَ السيف))[2]. ولعله علىٰ حسب العمل يتسع ويضيق، وعلىٰ حسب النور، فقبل الصراط جاء في الحديث: ((ثم يقولُ ارفَعوا رؤوسَكُم فيعطيهِم نورَهُم علَىٰ قدرِ أعمالِهِم))[3].

وأول الصراط في الموقف وآخره عند مرج، أي: فضاء، وفيه درج يصعد عليه إلىٰ باب الجنة، وطوله ثلاثة آلاف سنة صعود وألف هبوط وألف استواء. وذكر الحافظ ابن حجر في شرحه فتح الباري علىٰ صحيح البخاري: أن طوله خمسة عشر ألف سنة اهـ. تنوير القلوب.

ثم ذكر في الحديث مرورهم علىٰ الصراط علىٰ قدر أعمالهم، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يُضْرَبُ الصِرَاطُ بين ظهرانَي جهنَّمَ فأكونُ أَوَّلَ مَنْ يجوز من الرسُل بأُمَّته، ولا يَتكَلَّمُ يَومئذٍ إلا الرُّسُلُ، وكلام الرسلِ يومئذٍ: (اللهُمَ سَلِّمْ، سَلِّمْ)، وفي جَهنّمَ كَلاَليبُ مثلُ شوكِ السعدانِ، هلْ رأيتم شوكَ السعدان؟))، قالوا: نعم يا رسولَ الله. قال:

---

(١) مسلم (٤٠٠).

(٢) مسلم (١٨٣).

(٣) الطبراني (٩٧٦٣)، والدارقطني (١٦٣)، والحاكم (٨٧٥١)..

((فإنَّها مثلُ شوكِ السعدانِ غيرَ أنّه لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إلا الله، تَخْطَفُ النَّاسَ بأعمالِهم، فمنهُم مَن يُوبَق بعَمَلِهِ، ومنهُم مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ ينْجُو))[1].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((يَمُرّ النّاس علىٰ جسرِ جهنّمَ وعليهِ حسكٌ وكلاليبُ وخطاطيفُ، تَخْطِفُ النّاسَ يميناً وشمالاً، وعلىٰ جَنبَتَيهِ ملائكةٌ يقولون: اللّهم سلِّم سلِّم، فمِنَ النّاسِ مَنْ يَمُرُّ مثل الرّيْح، ومنْهُم مَنْ يَمُرُّ مثلَ الفرسِ المُجْرِي، ومنهم مَنْ يَسعىٰ سعياً، ومنهم مَنْ يمشي مشياً، ومنْهُم مَنْ يَحبو حبواً، ومنهم مَنْ يَزْحَفُ زَحْفاً. فأمَّا أهلُ النار الذينَ هُمْ أهلُهَا فلا يمُوتُون، ولا يَحْيَون. وأَمَّا أُنَاسٌ فيُؤْخَذُونَ بذنوبٍ وخطايا، فيحترقون فيكونون فحماً، ثُمّ يُؤذَنُ في الشَّفَاعَةِ)) وذَكَر إلىٰ آخر الحديث[2].

ووقتُ المرورِ علىٰ الصراطِ بعدَ الحسابِ فَمَنْ تَعَدَّاهُ نَجَا، جَعَلَنا الله من النَّاجِين، آمين.

والنّاسُ متفاوتونَ في النجاة، فمنهُم السالِمُ مِنَ الوقوعِ في النَّار، ومنْهُم الواقعُ فيها، إمَّا علىٰ التَّأْبِيدِ والدوامِ ، وهُمُ الكفّارُ والمنافقون، أو إلىٰ مدةٍ يريدهَا اللهُ تعالىٰ ثم يَنْجُون، وهُمْ بعضُ عصاة المؤمنين.

وَسُرْعَةُ النَجاةِ بقدرِ الأعمالِ كما مرَّ في الحديث.

فأَعْلَىٰ الناجينَ هُم: أهلُ رجحانِ الأعمالِ الصالحةِ، والسالمونَ مِن السيئاتِ مِمَّن خصَّهمُ اللهُ بسابقةِ الحسنىٰ، وهُمُ الذين يَجوزون كطرفِ العينِ.

---

(١) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٢) الإمام أحمد (١١٢١٧)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٧٩).

وبعدَهمُ الذين يجوزونَ كالبرقِ الخاطفِ (ومنهم الذي يمر كانقضاض الكوكب).

وبَعْدَهم الذينَ يجوزونَ كالريحِ العاصفِ (ومنهم الذي يمر كالسّحاب).

وبَعدَهم الذينَ يجوزونَ كالطير.

وبَعدَهم الذينَ يجوزونَ كالجواد السابقِ (كشدّ الفرس).

ومِنْهم مَنْ يجوزُ كَشَدِّ الرَجُلِ ثمَّ كمَشيهِ. ومنهم مَنْ يجوزُ سعيـًا ومشيـًا. ومنهم مَنْ يجوزُ حبواً.

وبالجملةِ فعلىٰ قَدْرِ الاستقامة علىٰ الصراطِ المستقيمِ في الدنيا؛ يكونُ الثباتُ والنجاةُ علىٰ الصراطِ الحسيِّ في الآخرةِ.

فمَنْ استقامَ في الدنيا علىٰ الصِراطِ المستقيمِ خفَّ علىٰ الصراطِ ونَجَا، ومَنْ عَدَلَ عن الاستقامةِ في الدنيا تعثَّرَ علىٰ الصراطِ وتَردَّىٰ.

الشَّفَاعَةُ حقٌّ

وهي ثابتةٌ لنبينا ﷺ ولسائرِ الأنبياءِ، والصِّدِّيقينَ، والعلماءِ، والصالحينَ، وكلِّ مَنْ له جاهٌ عند اللهِ، وحُسْنُ معاملةٍ، فإنَّ لهُ شفاعةً في أهلهِ وقرابتهِ وأصدقائهِ ومعارفهِ. وورد ((استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة))[1].

(١) السيوطي (٩٩٥).

لا تحتقرْ مؤمنـًا فإنَّ الله خَبَّأَ ولايتَه في عبادِه، ((ورُبَّ أشعثَ مدفوعٍ بالأبوابِ لو أَقْسَمَ علىٰ اللهِ لأَبَرَّه))[1] كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لا تَسْتَصْغِر معصيةً فإنَّ تحتَ كلِّ معصيةٍ غضبَ الله، ولا تحتقرْ طاعةً فإنَّ تحتَ كلِّ طاعةٍ رضا الله، ولو الكلمة الطيبة، أو اللقمة، أو النية الحسنة، أو ما يجري مجرىٰ ذلك.

ويحبُ أنْ نعتقدَ أنَّه لا يشفعُ أحدٌ عند اللهِ إلا بإذنه –وهي لإظهارِ مزيةِ الشافعِ– فَمَنْ أَرَادَ اللهُ رحمتَه شَفَّعَ فيه أحَبَابَه.

وشواهد الشفاعةِ كثيرةٌ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[الضحى:٥].

وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ تلا قولَ اللهِ عز وجل في إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[إبراهيم:٣٦]، وقول عيسىٰ عليه الصلاة والسلام ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾[المائدة:١١٨]. فَرَفَع يديه وقال: ((اللهم أمتي أمتي)) وبكىٰ، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلىٰ محمّد – وَرَبُّكَ أَعلم – فسَلْهُ ما يُبْكِيك؟ فأتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال – والله أعلم به– فقال الله: يا جبريل اذهب إلىٰ محمَّدٍ فَقُلْ له: إنَّا سنرضيكَ في أُمَّتِكَ ولا نسوؤك[2].

(١) مسلم (٢٦٢٢).

(٢) مسلم (٢٠٢).

وعَنْ أَبِي سَعيد ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلاَ فَخْرَ))[1].

وعن أبيّ بن كَعبٍ ﷺ قال: قال ﷺ: ((إذا كانَ يومَ القيامة كنتُ إمامَ النبيّنَ، وخطيبَهُم، وصاحِبَ شفاعَتِهِم، غَيرُ فَخْرٍ))[2].

وقال ﷺ: ((لكُلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ فأريدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دعوتِي شفاعَةً لأمَّتي يومَ القِيامة))[3].

فهذه شفاعة الرسول ﷺ.

وأول الشَّفَاعاتِ الشَّفَاعةُ العظمىٰ في فصلِ القضاءِ لإراحةِ النّاس مِنْ هولِ الموقفِ، وهذه مختصةٌ بالنبي ﷺ، وهذا هوَ المقامُ المحمودُ الذي يَحْمَدُه فيهِ الأوّلونَ والآخرونَ.

وأحاديثُ الشَّفَاعةِ العظمىٰ مرويةٌ في البخاري ومسلمٍ، وسائرِ كتبِ السنةِ فأحاديثها متواترةٌ معنىً.

---

(١) الترمذي (٣١٤٨).

(٢) الترمذي (٣٦١٣)، وابن ماجه (٤٣١٤).

(٣) البخاري (٦٣٠٤).

ولآحادِ أُمَّتِهِ ﷺ من العلماءِ والصالحينَ شفاعةٌ أيضـًا، حتىٰ جاء عن أبي أُمَامَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ، أَوْ مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ))[1]، فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

والشَّفَاعةُ بعدَ الشفاعةِ العظمىٰ أنواعٌ: عدَّ مِنْهَا النووي بعد الشفاعةِ العظمىٰ أربعـًا:

١. الشَّفَاعة في إدخالِ قومٍ الجّنة بغير حسابٍ وهي مختصةٌ به ﷺ.
٢. الشَّفَاعةُ فيمَنْ استحقَّ النَّارَ أنْ لا يدخلَهَا.
٣. الشَّفَاعةُ فيمَن دخلَ النّارَ مِنَ الموحِّدينَ أنْ يخرجَ منها، ويشتركُ فيها الأنبياءُ والملائكةُ والمؤمنونَ.
٤. الشَّفَاعةُ في زيادةِ الدرجاتِ في الجنّة لأهلِها[2].

وعد في تنوير القلوب:

٥. الشفاعة في تخفيف العذاب عمن استحق الخلود، وهي مختصة به ﷺ.

ملاحظة هامة

لا ينبغي تركُ العملِ اعتماداً علىٰ الشَّفَاعة، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. قال: ((يا معشرَ قرَيش، اشْتَرُوا أنفسَكُم من الله، لا أُغْنِي عنكُم مِنَ الله شيئـًا، يا بني عبدِ المطَّلب، لا أُغْنِي عنْكُم من الله شيئـًا، يا عَباس بنَ عبدِ المطَّلبِ، لا أُغْنِي عَنكَ مِنَ الله شيئـًا، يا صفيةُ عمّةَ رسولِ

(١) الإمام أحمد (٢٢٣٥١).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٣٢٥).

اللهِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شيئـًا، يا فاطمةُ بنتَ رسولُ الله، سَلِيني بِمَا شِئْتِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شيئـًا))[1]. والأحاديثُ في طلبِ العملِ وعدمِ الاعتمادِ علىٰ الشَّفَاعة كثيرة.

عن أبي فراس ربيعة بن كعبٍ الأَسلميّ خادمِ رسول اللهِ ﷺ، أَحَدِ أهلِ الصُّفَّة رضي الله عنه قال: كُنْتُ أبيتُ معَ رسول الله ﷺ، فآتيهِ بوَضُوئِه وحاجَتِه فقالَ لي: ((سَلْ)) فقلتُ: أسألكَ مرافقتكَ في الجنةّ، فقال: ((أَوَ غَيرَ ذلكَ؟)) قلتُ: هو ذاكَ، قال: ((فأَعِنّي علىٰ نَفْسِكَ بكَثْرةِ السُّجودِ))[2].

الوَضُوء: الماءُ المعدُّ للوُضوء. حاجَتَهُ: ما يحتاجُ إليه مِن لباسٍ وغيرِه. فأعنّي: فيه إشارة إلىٰ أنه ﷺ مجتهد أي اجتهاد في إصلاحه كغيره. وفيه فضْلُ الصّلاَةِ.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يا بني عبدِ المطّلِبِ أَنْقِذُوا أنفُسَكم من النَّارِ، يا فاطمةُ أنقذِي نفسَكِ من النَّار فإنِّي لا أملِكُ لكمْ مِنَ الله شيئـًا، غيرَ أنَّ لكمْ رَحِمـًا سأَبُلُّها بِبَلاَلِها))[3]. البَلاَلُ: الماء. شَبَّهَ ﷺ قطيعة الرحم بالحرارة، وَالصِّلة تُبَرِّدُ حرارةَ القطيعةِ.

النّار حقٌّ

(١) البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦)، واللفظ له.

(٢) مسلم (٤٨٩).

(٣) مسلم (٢٠٤).

يَدخُلها الكفارُ، وهمْ خالدونَ فيها، ويدخُلُها عصاة المؤمنينَ، وهم غيرُ مخلّدِينَ فيها، وهي سبعُ طبقاتِ:

١. جهنَّمُ لِمَنْ يُعذَّبُ مِنْ عصاةِ المؤمنينَ، وتصير خرابا بخروجهم منها.

٢. وتحتها لظىً، لليهود.

٣. ثم الحُطَمَةُ، للنصارىٰ.

٤. ثم السعيرُ، للصابئين.

٥. ثم سَقَرُ، للمجوس عُبّاد النار.

٦. ثم الجحيمُ، لعبدة الأصنام.

٧. ثم الهاويةُ، للمنافقين. ذكَرَها في تنوير القلوب عن القرطبي[1]، والله أعلم.

عن أَنَسٍ ﷺ قال: ((كانَ أكثرُ دعاءِ النّبي ﷺ: رَبَّنا آتِنَا في الدُّنيَا حسنةً، وفي الآخرةِ حسنةً، وقِنَا عذابَ النَّار))[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: كنَّا معَ رسولِ اللهِ ﷺ إذْ سَمِعَ وَجْبَةً فقال رسول الله ﷺ: ((تَدْرُونَ مَا هذا؟)) قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: ((هذا حَجَرٌ رُمِيَ به في النار منذ سبعين خَريفـًا، فهُو يهوي في النّارِ، الآنَ انتهىٰ إلىٰ قَعْرِهَا))[3].

---

(١) التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة (ص٤٤٤).

(٢) البخاري (٦٣٨٩).

(٣) مسلم (٢٨٤٤).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: ((إنَّ أدْنَىٰ أهلِ النَّار عذاباً يوم القيامة يَنْتَعِلُ نعلين مِنْ نارٍ يَغْلِي دماغُهُ مِنْ حرارَةِ نَعْلَيهِ))[1].

وعن أبي هريرة ﷺ أنّ النَّبي ﷺ قال: ((نارُكُم هذهِ التي يوقِدُ ابنُ آدمَ جُزءٌ مِن سبعينَ جُزْءاً مِنْ نار جهنم))، قالوا: والله إنْ كانَتْ لَكافيَة يا رسولَ الله، قال: ((فإنَّها فُضِّلَتْ عليها بتسعةٍ وستِّين جُزْءاً كلّهُنَّ مثلُ حرِّهَا))[2].

وفي النار أوديةٌ كالويلِ، عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((الويْلُ وادٍ في جهنّم يَهْوي فيه الكافرُ أربعينَ خريفاً قبلَ أنْ يبلغَ قَعْرَه))[3].

ويلٌ أُعِدَّ للهُمَزَةِ اللُّمَزَةِ، وَأُعِدَّ لِلذّينَ يُخْرِجُونَ الصلاةَ عنْ وقتِهَا، وَلِلَّذِينَ يُراءُون ويَمْنَعُون الماعون. الماعون: الزكاةُ أو العاريةُ.

وفيها مقامعُ: قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[الحج:٢١]، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال رسول الله ﷺ: ((لو أنَّ مِقمَعًا من حديدٍ وُضِعَ في الأرضِ، فاجتَمَع له الثَّقَلانِ ما أقَلُّوه منَ الأرضِ))[4]، وقال ﷺ: ((لو ضُرِبَ الجَبَلُ بمِقْمَعٍ من حَديدٍ لَتفتَّتَ))[5].

---

(١) مسلم (٢١١).

(٢) مسلم (٢٨٤٣).

(٣) الحاكم في المستدرك (٣٨٧٣).

(٤) الإمام أحمد (١١٢٣٣).

(٥) الإمام أحمد (١١٧٨٦)، والترمذي (٢٥٨٤).

وفيها حيّاتٌ وعقاربُ، عن عبدالله بن الحارث ﷺ قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ في النارِ حيَّاتٍ، كأمثالِ أعناقِ البُخْتِ، تَلسَعُ إحْداهُنَّ اللَّسعةَ فيَجِدُ حَمْوَتَها أربعينَ خَريفًا، وإنَّ في النار عَقاربَ كأمثالِ البِغالِ الموكَفةِ، تَلسَعُ إحْداهُنَّ اللَّسعةَ، فيَجِدُ حَمْوَتَها أربعينَ سَنةً))[1].

تعظيم أجساد أهل النار

إنَّ اللهَ تعالىٰ يزيدُ في أجسامهم طولاً وعرضًا حتىٰ يتزايد عذابهم بسببه، فيُحِسُّونَ بلفحِ النّارِ، ولَدْغِ العقاربِ والحيَّاتِ.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ضِرْسُ الكافرِ في النَّار مِثلُ أُحُدٍ، وغِلَظُ جِلْدِهِ مسيرةُ ثَلاثٍ))[2].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((ما بينَ مَنْكِبَي الكافرِ مسيرةُ ثلاثةِ أيَّامٍ للراكبِ المُسْرِع))[3]. والمَنْكِبُ: مُجْتَمَعُ رأسِ الكتفِ والعَضُد.

قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾[النساء:٥٦].

عن الحارثِ بنِ أُقَيْشٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَدْخُلُ الجنّةَ بِشفاعَتِهِ أكثرُ منْ مُضَر، وإنَّ مِنْ أُمّتِي من سَيَعْظُم للنَّار حتىٰ يكونَ أَحَدَ زَوَايَاها))[4].

---

(١) الإمام أحمد ((١٧٧١٢)) واللفظ له، وابن حبان (٧٤٧١)، والحاكم (٨٧٥٤)).

(٢) مسلم (٢٨٥١).

(٣) البخاري (٦٥٥٣).

(٤) ابن ماجه (٤٣٢٣).

قال الضحاك: الحميم: ماء يغلي منذ خلق الله السموات والأرض إلىٰ يوم يسقونه، ويصب علىٰ رؤوسهم. ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾[محمد:١٥]، ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾[الحج:١٩].

عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖ﴾[إبراهيم:١٦-١٧]، قال: ((يقرب إلىٰ فيه فيكرهه، فإذا دنا منه شوىٰ وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتىٰ يخرج من دبره، يقول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾[محمد:١٥]، ويقول: ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩﴾[الكهف:٢٩]))[1]، والمهل: عكر الزيت.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال النبي ﷺ: ((ولو أنْ دَلْوًا من غَسَّاقٍ يُهَراقُ في الدُّنيا لَأنْتَنَ أهْلَ الدُّنيا))[2]، والغساق هو المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ﴾[ص:٥٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا﴾[النبأ:٢٥].

طعام أهل النار: الزَّقُّوم

عن ابن عباس ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢] فقال ﷺ: ((لو أنَّ قطرةً من الزَّقُومِ قُطِرَت في دَارِ الدُّنيَا لأفسَدَتْ

(١) الترمذي (٢٥٨٣)، وأحمد (٢٢٢٨٥).

(٢) الإمام أحمد (١١٧٨٦)، والترمذي (٢٥٨٤)، والحاكم (٩٠٠٤).

علىٰ أهْلِ الدُّنيا مَعَايِشَهُم، فكيفَ بِمَنْ يكونُ طَعَامَه))[1]. وصح عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾[المزمل:١٣]: شوك يأخذ بالحلق، لا يدخل ولا يخرج.

ولقد تحدّث القرآن عَنِ الزَّقُومِ في سورة [الصَّافَات]: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ٦٨﴾[الصافات].

الجَنَّةُ حقٌّ

وهي درجاتٌ: سبعُ جناتٍ متجاوراتٍ، أو أربعٌ، أو واحدةٌ.

الفِردَوسُ: وهي أعلاَها، وسقفُها عرشُ الرحمن، ومنها تَفَجَّرُ أنهارُ الجَنّة.

وللجنّةِ أسماءٌ: جنَّةُ المأوىٰ، وجَنَّةُ الخلدِ، وجَنَّةُ عَدْنٍ، ودارُ السّلام، ودارُ الجَلالِ، ودارُ النّعيم.

والجنة مُطَهَّرةٌ مِنَ الأقذارِ: كالبولِ، والغائطِ، والحيضِ، والنفاسِ، والبُصاقِ، والمنِيِّ.

وإنما فضلاتُ طعامِهم جُشَاءٌ ورَشْحٌ كرشحِ المسكِ، وقد رُوِي أن ملاطَها المسك، وترابَهَا الزعفران، وحَصْبَاءها الدّرُّ والياقوت، وبناءَها لَبِنَةٌ من فضةٍ، ولَبِنَةٌ من ذهبٍ، فيها ما تشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ.

(١) الترمذي (٢٥٨٥).

فيهَا ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمِعَت، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ بشر.

وبالختامِ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦]، فالحسنىٰ: الجنَّة، والزيادةُ: النظرُ إلىٰ وجههِ الكريمِ، قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾[القيامة].

عن جريرِ بن عبد الله ﷺ قال: كنّا عند النّبي ﷺ إذْ نظرَ إلىٰ القمر ليلة البدر فقال: ((إنَّكمْ سَترَون رَبَّكُم كما تَرَون هذا))[1].

شجر الجنّة

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إنَّ في الجنّة لَشجرةً يسيرُ الرَّاكبُ في ظلِّهَا مائَةَ عامٍ لا يَقْطَعُهَا، واقرءُوا إنْ شِئْتُم ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾[الواقعة:٣٠])[2].

ثياب أهل الجنة

عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: وقام آخرُ فقال: يا رسولَ اللهِ أخبرْنا عن ثيابِ أهلِ الجنةِ، أخلقٌ يُخلقُ؟ أم نسجٌ ينسجُ؟ فضحك بعضُ القومِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ((مِمَّ تضحكون! من جاهلٍ يسألُ عالمًا! أينَ السائلُ؟)) قال: أنا ذا يا رسولَ اللهِ. قال: ((تنشقُّ عنها ثمارُ الجنةِ))[3].

---

(١) البخاري (٥٧٣).

(٢) البخاري (٣٢٥١).

(٣) الإمام أحمد (٦٨٩٠)، والبزار (٢٤٣٤)..

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((أَهْلُ الْجَنَّةِ جُرْدٌ، مُرْدٌ، كُحْلٌ، لاَ يَفْنَىٰ شَبَابُهُمْ، وَلاَ تَبْلَىٰ ثِيَابُهُمْ))[1].

وفي الحديث عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((موضِعُ سَوطِ أَحَدِكُم مِنَ الجنَّة خيرٌ مِنَ الدُّنيَا وما عليها))[2].

وفي الحديثِ عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((النومُ أخو الموتِ، وأهلُ الجنّةِ لا يَنَامُون))[3].

نساء أهل الجنة

﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾[الواقعة]، ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾[الرَّحمن:٧٠]، ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[الصَّافات:٤٩]، ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[الواقعة:٣٧].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لو اطَّلَعَتْ امرأةٌ مِنْ نساءِ أهل الجنَّةِ إلىٰ الأرضِ لملأت ما بينهما ريحًا، وَلَطَابَ ما بينهما، ولَنَصِيفُهَا علىٰ رأسها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها))[4].

وَبِالمناسبة: نساءُ الدُّنيا أفضلُ من الحورِ العين.

---

(١) الترمذي (٢٥٣٩).

(٢) البخاري (٢٨٩٢).

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٦٨): رواه الطبراني في الأوسط والبزار.

(٤) الإمام أحمد (١١٩٨٤).

غُرَفُ الجنَّة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ في الجنَّة غرفةً يُرَىٰ ظاهرُها مِن باطِنها، وباطنها من ظاهرِها، أعدَّها اللهُ لِمَنْ أطْعَمَ الطّعَامَ، وأَلاَنَ الكلامَ، وتَابعَ الصيامَ، وصَلَّىٰ والناسُ نِيَام))[1]. قال تعالىٰ: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾[التوبة:٧٢].

منازل المتحابين في الله

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال النبي ﷺ: ((إنَّ المُتَحابِّينَ لَتُرىٰ غُرَفُهم في الجَنَّةِ كالكَوكَبِ الطَّالِعِ الشَّرْقيِّ أوِ الغَرْبيِّ، فيُقالُ: مَن هؤلاءِ؟ فيُقالُ: هؤلاءِ المُتَحابُّون في اللهِ عزَّ وجلَّ))[2].

صفات أهل الجنة

عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ أولَ زمرةٍ يدخلون الجنَّةَ علىٰ صورة القمرِ ليلةَ البدر، والذينَ يلونَهم علىٰ أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءةً، لا يَبُولون، ولا يتغوَّطُون، ولا يَمْتَخِطُون، ولا يَتْفُلون، أمشاطُهم الذَّهَبُ، ورشحُهُم المسك، مجامِرُهُم الأَلُوَّة، أزواجهم الحور العين، أخلاقهم علىٰ خُلُقِ رجل واحدٍ، علىٰ صورةِ أبيهم آدمَ ستُّونَ ذراعًا في السَّماء))[3].

---

(١) الإمام أحمد (٦٣٢٦).

(٢) الإمام أحمد (١١٨٢٩).

(٣) البخاري (٣٣٢٧).

وعنه ﷺ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: ((لكلِّ واحدٍ منهم زوجتانِ، يُرَىٰ مُخُّ ساقِهِما من وراءِ اللّحْمِ مِن الحُسْنِ، لا اختلافَ بينهم ولا تباغُض، قلوبُهُم قلبٌ واحدٌ، يُسَبِّحونَ اللهَ بكرةً وعشيـًا))[1].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَدخُلُ أَهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، بيضًا، جِعادًا، مُكَحَّلينَ، أَبناءَ ثَلاثٍ وثَلاثين، علىٰ خَلْقِ آدَمَ، سِتُّون ذِراعًا في عَرْضِ سَبعِ أَذرُعٍ))[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: ((لَبِنَةٌ من ذهبٍ، ولبنةٌ من فضةٍ، ومِلاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ أو الياقوت، وترابها الزعفران، مَن يدخلها يَنْعَم، فلا يَبْؤُس، ويخلد لا يموت، لا تَبْلَىٰ ثيابُه، ولا يفنىٰ شبابه))[3].

سِعَةُ أَبوابِهَا

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ ما بين المصراعَين مِن مصاريع الجنّة كما بينَ مكة وحِمْيرَ، أو كما بين مكة وبُصْرَىٰ))[4]. وعن معاوية بن حيدة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((أنتم تُوفُونَ سَبعينَ أُمَّةً، أنتم آخِرُها وأكرمُها علىٰ اللهِ، وما بيْنَ مِصراعَينِ مِن مَصاريعِ الجنَّةِ مَسيرةُ أربعينَ عامًا، وليَأتيَنَّ عليه يومٌ وإنَّه لكَظيظٌ))[5].

---

(١) البخاري (٣٢٤٥).

(٢) الإمام أحمد (٧٩٣٣)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٥٤٢٢).

(٣) ابن حبان في صحيحه (٧٣٨٧).

(٤) البخاري (٤٧١٢).

(٥) الإمام أحمد (٢٠٠٢٥)، والترمذي (٣٠٠١).

عن معاوية بن حَيَدة أن رسول الله ﷺ قال: ((أنتم تُوفُونَ سبعينَ أُمّةً أَنْتُم خَيرُها وأكرمُهَا علىٰ الله عز وجل))[1].

مَنْ يدخلُ الجنَّة بغيرِ حِسَابٍ

عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ ربِّي أعطاني سبعينَ ألفًا من أمَّتي يدخُلونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ)). فقال عمرُ: يا رسولَ اللهِ، فهلَّا استزَدْتَه. قال: ((قد استزَدْتُه فأعطاني مع كلِّ رجلٍ سبعينَ ألفًا)). قال عمرُ: فهلَّا استزَدْتَه. قال: ((قد استزَدْتُه فأعطاني مع كلِّ رجلٍ سبعينَ ألفًا)). قال عمرُ: فهلَّا استزَدْتَه. قال: ((قد استزَدْتُه فأعطاني هكذا))، وفرَّج عبدُ اللهِ بنُ بكرٍ بين يدَيْه. قال عبدُ اللهِ: وبسَط باعَيْه. وحثا عبدُ اللهِ، وقال هشامٌ: وهذا من اللهِ لا ندري ما عددُه[2].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: ((ليبعثنَّ اللهُ من مدينةٍ بالشامِ يُقال لها : حمصٌ سبعين ألفًا يومَ القيامةِ ؛ لا حسابَ عليهم، فيما بين الزيتونِ والحائطِ في البرثِ الأحمرِ))[3].

---

(١) الإمام أحمد (١٧٠٦)، عن عبد الله بن بكر السهمي قال حدثنا هشام بن حسان.. إلخ السند.

(٢) الإمام أحمد (١٩١٦٤).

(٣) الإمام أحمد (١٢٠)، والبزار (٣١٧)، وفيه أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم وهو ضعيف.

خيل الجنة

عن عبد الرحمن بن ساعدة ﷺ قال: كنتُ أحبُّ الخيلَ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، هل في الجنَّةِ خيلٌ؟ قال: ((إن أدخلك اللهُ الجنَّةَ يا عبدَ الرَّحمنِ كان لك فيها فرَسٌ من ياقوتٍ له جناحان تطيرُ بك حيث شِئتَ))[1].

تَفَاوتَ منازلِ أهلِ الجنَّةِ

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ أَهلَ الجنَّةِ ليَتَراءَون أهلَ الغُرَفِ مِنْ فوقِهِم كما يَتَراءَون الكوكبَ الدريَّ الغابِرَ في الأُفُقِ مِنَ المشرقِ أو المغربِ لتفاضُلِ ما بينَهُم)). قالوا: يا رسول الله تلكَ منازلُ الأنبياءِ لا يبلُغُهَا غيرُهُم؟ قال: ((بلىٰ والذي نفسي بيدِهِ رجالٌ آمنوا بالله، وصدَّقُوا المرسَلين))[2].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنّةَ يُنَادي منادٍ: إنَّ لكم أن تَحْيَوا فلا تَمُوتُوا أبداً، وإنَّ لكُمُ أنْ تَصِحُّوا فلا تَسَقَموا أبداً، وإنَّ لكُم أنْ تَشبُّوا فلا تهْرمُوا أبداً، وإنَّ لكُمْ أن تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبداً))[3].

خُلودُ أهلِ الجنّةِ، وخلودُ أهلِ النّار

عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا صار أهلُ الجنَّةِ إلىٰ الجنَّةِ، وأهلُ النَّارِ إلىٰ النّارِ جِيءَ بالموتِ حتَّىٰ يُجْعَل بين الجنَّةِ والنارِ، ثمَّ يُذْبَحُ، ثمَّ يُنادِ منادٍ: يا أهلَ الجنَّة لا موت،

(١) في الترمذي (٢٥٤٤) عن أبي أيوب ﷺ، والطبراني في الأوسط (٥٠٢٣) عن بريدة بن الحصيب ﷺ.

(٢) البخاري (٣٢٥٦). مسلم (٢٨٣١).

(٣) مسلم (٢٨٣٧).

يا أهل النّارِ لا موت، فيزدادُ أهلُ الجنّةِ فرحًا إلىٰ فرحهم، ويزدادُ أهل النَّارِ حزنًا إلىٰ حزنهم))[1].

طعام أهل الجنة

قال زيد بن أرقم ﷺ: جاء رجل من اليهود إلىٰ رسول الله ﷺ وقال: يا أبا القاسم ألستَ تزعمُ أنَّ أهلَ الجنّةِ يأكلونَ فيها ويشْرَبون؟ وقال لأصحابه: إنْ أَقَرَّ لي بها خَصَمْتُهُ، فقال رسول الله ﷺ: ((بلىٰ والذي نفسي بيدِهِ إنَّ أَحَدَهُم ليُعْطَىٰ قوَّةَ مائةِ رجلٍ في المطعمِ والمشربِ والجماعِ))، فقال اليهودي: فإنَّ الذي يأكلُ ويشربُ تكونُ له الحاجة، فقال رسول الله ﷺ: حَاجَتُهم عَرَقٌ يفيضُ من جلودِهِم مثلُ المسكِ، فإذا البطنُ قَدْ ضَمُر))[2].

لباسُ أهلِ الجنَّة، وفرشُهُم، وسُرُرُهُم، وأَرائكُهُم، وخيامُهُم

قال الله تعالىٰ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[الحج:٢٣].

عن عبد الله بن قيس ﷺ قال: قال ﷺ: ((الخيمةُ درّةٌ مجوَّفةٌ، طولُهَا في السَّماءِ ثلاثونَ مِيلاً في كلِّ زاويةٍ منها للمؤمنِ أهلٌ لا يراهُمُ الآخَرُونَ))[3].

قال تعالىٰ: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾[يس:٥٦].

---

(١) البخاري (٦١٨٢).

(٢) الإمام أحمد (١٨٤٦٩).

(٣) البخاري (٣٢٤٣).

الحورُ العينُ، والوِلْدَان

عن أنس ﷺ قال: قال ﷺ: ((ولو أنَّ امرأةً من نساءِ أهلِ الجنَّةِ اطَّلَعَت إلىٰ الأرضِ لأضاءَت ما بينهما، وَمَلأت ما بينهما ريحًا، ولَنَصِيْفُها علىٰ رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها))[1].

النصيف: يعني الخمار.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾[آل عمران:١٥]، قال مجاهد: مِن الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمنِيّ والولد.

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو ﷺ قال: (إنَّ أدنَىٰ أهلِ الجنَّةِ منزلةً مَن يسعَىٰ عليهِ ألفُ خادمٍ كلُّ خادمٍ علىٰ عملٍ ليسَ عليهِ صاحبُهُ. قال: وتلا هذهِ الآيةَ ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾[الإنسان:١٩])[2].

أَنهارُ الجنَّةِ

قال تعالىٰ: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾[محمد:١٥]، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[الصَّافات:٤٧] أي: لا تُسَفِّه الأحلام[3]، ولا تَصَدَّعُ منها الرءوس[4].

---

(١) الإمام أحمد (١١٩٨٤).

(٢) البيهقي في البعث والنشور (٣٧١).

(٣) تفسير لقوله: لا فيها غول.

(٤) تفسير لقوله: ولا هم عنها ينزفون.

الإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ

ركنٌ من أركانِ الإيمانِ السِّتَّة، عن عمر بن الخطّاب ﷺ قال: سأل جبريل عليه السلام النّبي ﷺ عن الإيمان فقال: (يا محمد أخبرني عن الإيمان)، قال ﷺ: ((أن تؤمن باللهِ، وملائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِهِ، وباليومِ الآخر، وتؤمن بالقدر خيرِهِ وشرِّهِ))[1].

عن عبد الله بن عمرو ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: ((كتبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبل أن يخلقَ السموات والأرضَ بخمسينَ ألفِ سنة))[2].

عَنْ عُبادةَ بن الصامت ﷺ أنَّ النّبي ﷺ قال: ((إنَّ أوّلَ ما خلقَ اللهُ القلمَ فقال له: اكْتُب، قال: رَبِّ وماذا أكتُبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كلِّ شيءٍ حتىٰ تقوم السَّاعةُ))[3].

وقد نُفي الإيمانُ عمَّنْ لم يؤمن بالقضاء والقدر، عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال ﷺ: ((لا يؤمنُ عبدٌ حتَّىٰ يؤمنَ بالقدر خيرِهِ وشرِّهِ، وحتَّىٰ يعلمَ أنَّ ما أصابَه لم يكنْ ليُخْطِئهُ، وأنّ ما أخطَأَه لم يكنْ ليُصِيبَهُ))[4].

---

(١) مسلم (٨).

(٢) مسلم (٢٦٥٣).

(٣) أبو داود في السُّنَة (٤٧٠٠).

(٤) الترمذي (٢١٤٤).

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كلُّ شيءٍ بقضاءٍ وقدرٍ حتىٰ العَجْزِ والكَيْس))[1] أي حتىٰ البلاهةِ والفطانةِ، فكلُّ العباد مخلوقون لله تعالىٰ، وأعمالهُم معلومةٌ لله قبلَ وجودها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الملك:١٤].

وقد أراد الله سبحانه أن تقع علىٰ الوجه الذي تقع فيه.

وأفعال العباد ستقع وِفق علمه وإرادته، وكلّ ما يجري في الكون وِفْقَ علمه وإرادته. وقد قدَّرَ اللهُ وقوعَ كلّ شيءٍ وِفْقَ عِلْمِهِ وإرادَتِهِ، وكلّ ما يجري في الكون لا يخرجُ عن قضائِه وقدرِهِ، ولا يستطيعُ أحدٌ التغييرَ والتبديلَ.

عن ابن عباس ﷺ قال: قال ﷺ: ((واعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعت علىٰ أنْ ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتَبَهُ الله لك، وإنِ اجتمعُوا علىٰ أنْ يضرُّوكَ بشيءٍ لم يضرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليكَ، رُفِعَت الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُف))[2].

فاللهُ فاعلٌ مختارٌ، ولا يقعُ في مُلْكِهِ إلا ما يريد، ما شَاء اللهُ كانَ، وما لمْ يَشَأْ لمْ يكُن، وكلُّ ما يقعُ في الكون معلومٌ له قبل وقوعه، وموافقٌ لما أراده وقدَّره، وإنكارُ شيءٍ مِنْ هذا يُعَرِّضُ صاحبَه للضلالِ والعذابِ، وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ أنَّ كفَّار قريشٍ جاءوا إلىٰ النبي ﷺ يخاصِمُونَه في القَدَر فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ

(١) مسلم (٢٦٥٥).

(٢) الترمذي (٢٥١٦).

يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾[القمر].[1]
فالرزق مقسومٌ والأجلُ محتومٌ.

الرِزْقُ

قال عنه تعالىٰ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الذاريات].

الأَجَلُ

قال عنه سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾[الأعراف:٣٤].

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ أحدَكم يُجمع خَلْقُه في بطن أُمِّه، أربعينَ يومًا نطفةً، ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكًا، ويُؤمر بأربع كلماتٍ، ويُقال له: اكتب عَمَلَه ورزْقَه وأجلَه وشقيٌّ أو سعيدٌ، ثُمّ ينفَخ فيه الروح، فإنَّ الرجلَ ليعملُ بعمل أهل الجّنةِ حتىٰ ما يكون بينَه وبينَها إلا ذراعٌ، فيسبِق عليه الكتابُ فيعملُ بعمل أهل النَّار، فيدخُلُ النّارَ، وإنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل النَّارِ حتىٰ ما يكون بينَه وبينَها إلا ذراعٌ فيسبِقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعمل أهل الجنَّة فيدخل الجنّة))[2].

(١) الإمام أحمد (٩٣٥٩).

(٢) البخاري (٣٣٣٢).

عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تَسْتبطئُوا الرزق، فإنَّه لنْ يموت العبدُ حتىٰ يبلَغه آخر رزقٍ هو له، فأجملوا في الطلب))[1].

وفي الحديث: ((إنَّ رُوحَ القُدُسِ نفث في رُوعِي أنَّ نَفْسًا لن تموتَ حتىٰ تستكملَ رزقَها، فاتقوا اللهَ وأَجْمِلُوا في الطلبِ (أي اطلبوا الرزق بالطرق الجميلة أي المشروعة)، ولا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرزقِ أنْ تَحْمِلُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ ما عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ))[2].

وأهل السعادة يعملون بعمل السعادة، وأهل الشقاوة يعملون بعمل الشقاوة. ولا يعني هذا تعطيل الأسباب، وقد قال بعض الصحابة ﷺ: يا رَسولَ اللهِ، أفلا نَتَّكِلُ علَىٰ كِتَابِنَا، ونَدَعُ العَمَلَ؟ قالَ: ((اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له، أمَّا مَن كانَ مِن أهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أهْلِ السَّعَادَةِ، وأَمَّا مَن كانَ مِن أهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾[الليل]))[3].

والعمل مأمورٌ به نصـًا ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[الملك:١٥]. وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجُمُعَة:١٠].

---

(١) ابن حبان في صحيحه (٣٢٣٩).

(٢) ابن أبي شيبة (٣٥٤٧٣)، والحاكم (٢١٣٦)، والبيهقي في الشعب (١٠٣٧٦).

(٣) البخاري (٤٩٤٩).

[الأسباب والمسببات]

إنَّ الله ربطَ الأسبابَ بالمسبَّبَات، فالأسبابُ مِن قَدَر الله، والوصولُ إلىٰ المسبَّبَات عند الأخذ بها مِن قَدَر الله.

ومعنىٰ التَّوكلُ: الأخذ بالأسبابِ كما أمر اللهَ، والاعتمادُ علىٰ الله في الوصول إلىٰ المسبَّبَات.

وأما ترك الأسباب فليس مِنَ التَّوكل في شيءٍ بل هو من التَوَاكُل.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: (لاَ يقعُد أحدكم عن طلبِ الرزق ويقول: اللّهم ارزقني، وقد علمتُم أنَّ السَّماء لا تمطرُ ذهبًا ولا فضَّةً).

وقد ذهبَ بعضُ العلماء إلىٰ أنَّ تركَ الأخذ بالأسباب معاندةٌ للقضاء والقدر، وهو مخالفةٌ للشرع، وأيضًا هو مخالفةٌ للعقل، بل مِنْ قِلَّةِ العقل.

ترجو النَجاة ولم تسلكْ مسالِكَها ... إنّ السفينةَ لا تجري علىٰ اليَبَسِ

إنّ الذي يطلب الرزق بدون عملٍ معاندٌ للقدر، والذي يطلب الجَّنةَ بدون عملٍ سيّءُ الأدب.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[الكهف:١٠٧]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[الكهف:٣٠].

مَنْ سلك مسلكَ السعادة يسعدْ إنْ شاء الله، ومَنْ سلك مسلك الشقاوة عرَّضُ نفسه للشقاوة، ومن طلب النَّصرَ بغير جهادٍ ولا استعدادٍ فقدْ أَخْطَأَ الطريقَ، وطلبَ النَّصرَ بطريقِ الخذلان، ومَنْ طَلَبَ المغفرةَ بدون توبةٍ ولا استغفارٍ كانَ كمَنْ طلبَ الجنّة بعملِ أهل النَّار.

أمثلة علىٰ ربط الأسباب والمسبَّبَات

مِن سنن الله في الكون: أن الله قدَّر:

١. أن الحبَّة الصالحةَ، إذا أُلقيت في التربةِ الصالحة، وأُجْرِيَ عليها الماء، قدَّرَ اللهُ أنْ ينبتَ فيها نبات.
٢. وأنَّ نواةَ التمر تُنبت نخلةً لا تُنبت زيتونةً.
٣. وأنَّه إذا اتصل الذَّكر بالأنثىٰ، من الإنسان والحيوان، مع سلامة الأعضاءِ، وموافقة الزمن، والاستعداد يكون نسلٌ مِنْ جنسه.
٤. وأن يولد الإنسان طفلاً، ثم يَصير صبيًا، فمراهقًا، فشابًّا، وكهلاً، فهَرِمًا إذا امتدَّ به العمر.
٥. وأنْ يَمنَحَ العبد قدرةً وإرادةً، يُزاول بهما بإذن الله مصالِحَهُ، ويسعىٰ في كسب رزقه، وجلب ما ينفعه، ودفع ما يضرّه، وإذا استعملَهُمَا بذلك وصل إلىٰ ما قُدِّر له.
٦. وأن يمنحَ الإنسانَ عقلاً يميِّزُ النافع من الضارّ، والخيرَ من الشّرّ، والهدىٰ من الضلال.
٧. وأن يرسلَ الله للمكلفين رسلاً يرشدونهم إلىٰ ما فيه خيرهم وصلاحهم، وربط باتِّباعهم وطاعتهم سعادتَهم، وبمعصيتهم والمخالفة عن أمرِهم شقاوتَهم.

٨. وأن يكلّفَه بأنواعٍ من التكاليف، فإنْ نَهَضَ بها أثابَه، وإنْ لم يفْعَل استحقَّ عِقَابَه.

٩. وأن يجعله مختاراً فيما يأتي ويَدَع، وأنْ يجعل هذا الاختيار أساساً للتكاليف الشرعيةِ حتىٰ إذا ذهب الاختيار ذَهَبَ التكليف.

وبالاختصار: الأسبابُ مِن قَدَر الله، ووجود المسَبَّباتِ عند تعاطيها من قَدَر الله، فالله خلق النار، وخلق الحرق عند ملامستها، وخلق الطّعام، وخلق الشبع عند تناوله، وخلق الماء، وخلق الرِّيّ عند شربه، وخلق السكين، وخلق القطع بها عند استعمالها، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصّافات:٩٦].

والذين يَنْفون القدرَ ويقولون: الأمر أُنُفٌ، أي إنَّ اللهَ يستأنف عِلم الأشياء عند وقوعها اسمهم القَدَرِيَّة، وهم: فئةٌ ضالَّةٌ حَكَمَ عليها علماء المسلمين بالكُفر والضلال.

والذين يقولون: إنَّ العبد يخلقُ أفعال نفسه الاختيارية بقدرةٍ أَوْجَدَها الله فيه فهم قَدَرِيّة، وهم أيضاً فئةٌ ضالَّةٌ ولولا قولهم بقدرةٍ أوجدها الله فيه لَحَكَمَ عليها العلماء بالكفر والضلال، وقد ذكر أنها انقرضت قبل الإمام الشافعي.

نحن مطالبون شرعاً أنْ نَدْفَعَ الأَقْدَارَ بالأَقْدَارِ:

* فالجوع مِنَ القدر ندفعه بِقَدَرِ الطعام.

* والعَطَشُ من القَدَرِ ندفعه بقدر الشراب.

* والمرضُ من القَدَر ندفعه بقدر الدواء.

ولو أن أمرأً استسلم لقَدَرِ الجوع والعطش مثلاً، وهو قادرٌ علىٰ دفعه ثمَّ ماتَ، ماتَ عاصيـاً لله تعالىٰ الذي نهاه أنْ يلقي بيده إلىٰ التهلكة: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة:١٩٥].

وقد أفصح الرسول ﷺ عن هذا كل الإفصاح وأوضحه كل الإيضاح حين قيل له: أرأيتَ أدويةً نتداوىٰ بِها ورُقًىٰ نَستَرقي بِها وتُقًىٰ نتَّقيها هل تردُّ من قدرِ اللهِ شيئًا ؟ قالَ : ((هيَ من قدَرِ اللهِ))[1]. فانظروا إلىٰ هذا الجواب الحكيم الذي يحفز الهمم إلىٰ العمل النافع، ويهيب بالناس باتخاذ الأسباب والإمعان في الحذر.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمَّا خرج إلىٰ الشام، في إحدىٰ قدوماته، لقِيَه بِسَرْغ قرب تبوك أمراءُ الأجناد - أبو عبيدةَ وأصحابه - فأخبروه أنَّ الطاعون في الشَّام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فقال عمر رضي الله عنه: ادْعُ لي المهاجرين الأوَّلينَ، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أنَّ الوباء وقعَ بأرضِ الشَّام، فاختلفوا، فقال بعضهم: معك بقيةُ النَّاسِ وأصحابُ رسول الله ﷺ ولا نَرىٰ أن تُقْدِمَهم علىٰ هذا الوباء، وقال بعضُهم: قد خرجتَ لأمرٍ ولا نرىٰ أن ترجع عَنْهُ، فقال: ارتفعوا عني.

ثمَّ قالَ: ادع لي الأنصار، فدعوتُهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني.

(١) ابن ماجه (٦٨٦)، ونحوه الحاكم (٨٧)، وابن حبان (٦١٠٠).

ثم قال: ادع لي مَن كان هنا من مشيخة قريشٍ من مهاجرةِ الفتح، فدعوتُهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان. فقالوا: نرىٰ أن ترجع بالنّاس لا تُقْدِمهم علىٰ هذا الوباء، فنادىٰ عمر في الناس: إنّي مصبِحٌ علىٰ ظهرٍ فأصبِحُوا عليه.

قال أبو عبيدة بن الجراح ﷺ: أفراراً مِنْ قَدَرِ الله؟ فقال عمر: لو غيرَك قالَها يا أبا عبيدة، نعم نَفِرُّ مِنْ قَدَر اللهِ إلىٰ قَدَرِ الله، أرأيتَ لو كانتْ لكَ إبلٌ هبطت وادياً له عَدْوَتَان: إحداهما خَصْبَةٌ، والأخرىٰ جَدْبَةٌ، أليس إنْ رعيت الخَصْبَة رعيتها بِقَدَرِ الله، وإنْ رَعَيتَ الجَدْبَة رعيتَها بِقَدرِ الله[1].

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾[النساء:١٠٢]. فإعداد العدّة وأخذ الحَذَر هو مِن باب دفع الأقدارِ بالأقدار.

ومدافعةُ الأقدار علىٰ نوعين:

الأول: مدافعةُ أَقدارٍ قد انعقدت أسبابها ولم تَقَعْ بأقدارٍ تدفعها، وتَحُول دون وقوعِهَا، كمدافعةِ عدوٍّ مُغِيرٍ بالإعداد له قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠].

الثاني: مدافعةُ أقدارٍ قد وقعت بأقدارٍ تدفعها، كمدافعة المرض بالدواء، وإليه يشير قوله ﷺ: ((تداووا عباد الله، فإنّ الله لَم يضعْ داءً إلا وضع له دواءً، غير داءٍ واحدٍ))، قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال: ((الهَرَمُ))[2].

---

(١) البخاري (٥٧٢٩).

(٢) الترمذي (٢٠٣٨).

أما القعودُ عن مدافعة الأقدار بالأقدارِ، مع القدرة عليها فهي من العجزِ الأثيمِ الذي نُهينا عنه. وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((احْرِصْ علىٰ ما ينفَعُك، واستعِنْ بالله، ولا تَعْجَزْ))[1]، والعجز: هو القعود عن العمل مع القدرة عليه كسلاً وتهاوناً، فإذا بذل الإنسان جهده، وخرج الأمر من يده كان معذوراً وعندها يقول: ((قدَّرَ اللهُ وما شاءَ فعل)).

[عقيدة القدر]

جرت عقيدة القدر بالمسلمين شوطين متباينين أشدّ التباين، متناقضين أشدَّ التناقض.

فقد كانت أوَّلَ الأمر دافعةً إلىٰ العمل، باعثةً علىٰ الجدِّ، حاملةً علىٰ خوضِ المعارك الدامية، وركوب الأخطار الدّانِيَة، ذلك يوم كانوا يعتقدون أن الآجالَ مقدّرةٌ، وأنّ الإنسانَ مخلوقٌ للعمل بما يرضي الله تعالىٰ، وأنّ كل امرئ مُيَسَّر لما خلق له، واثقين كلَّ الثِّقةِ أنَّه لنْ يصيبهم إلا ما كتبَ الله لهم، وأنَّ ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وأنَّه ما كان لنفس أن تموتَ إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً. فكان الإيمان بالقضاء والقدرِ باعثاً دافعاً حافزاً مشجِّعاً لا مثبِّطاً ولا مُبَطِّئاً.

وهناك آخرون فهموا عقيدة القدر فهماً مثبِّطاً فقعدوا عن العمل، وإعداد العدَّة، والأخذ بالأسباب، واستسلموا للعدو، فخرج الأمر من يدهم وغلبهم المغلوبون، وخسروا دينهم ودنياهم.

ومَن اعتقد أنّه موكول إلىٰ نفسه، وأن ما يصيبه من الخير يعود لجِدِّه ونشاطه، يأخذ به الغرور ويتملَّكُه البطر، وينسىٰ شكرَ ربه عز وجل. وإنْ حلَّت به مصيبةٌ فرأىٰ أن لا سببَ لها إلا سوء

(١) مسلم (٢٦٦٤).

تدبيرِه وقلَّة فهمهِ، يتملَّكه الحزْنَ والأسفُ، ويقتله الجزَع، وربما فَقَدَ عقله ورشده، والذي يُنْقِذُه في الحالين أنْ يؤمن أنَّ ما وقع له جرت به المقادير. قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[الحديد].

والذي يؤمن بالقدر أبعد ما يكون عن الحسد، سخيٌّ لا يبخل، وشجاعٌ لا يجْبُن، فالإيمان بالقضاء والقدر إيمانٌ بالحقيقة، وطاعة لله يُثاب عليها، ويستلزم ذلك الرضا فلا شيء أثلجَ للقلوب من معرفةِ الحقيقة والإيمانِ بها.

عن عليّ ﷺ أنّه قال: (مَنْ رَضِيَ بقضاء الله وقدره جرىٰ عليه وكانَ له أجر، ومَنْ لم يرضَ بقضاءِ الله وقدره جرىٰ عليه وحَبِط عَمَله)[1].

وفي الحديث القدسي: ((مَن لم يَرضَ بِقَضائي ويَصبِرْ عَلىٰ بَلائي، فلْيَلتَمِسْ ربًّا سِوائي))[2].

للعبد أمام القضاء والقدر أربعة أحوال

قضاءٌ بالطَّاعات، فعليه أن يستقبله بالجُهْدِ والإخلاصِ حتىٰ يكرمه الله بالتوفيقِ والهداية.

قضاءٌ بالمعاصي، فعليه أن يستقبلَه بالتوبةِ والاستغفارِ حتىٰ يكرمه الله بالمغفرة.

قضاءٌ بالنِّعمة، فعليه أن يستقبلَه بالشكر والسَّخاءِ حتىٰ يُكْرِمَه الله بالزيادة.

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان (١٠١٦٨).

(٢) الطبراني في الكبير (٨٠٧).

قضاءٌ بالبلاءِ والمِحَن، فعليه أنْ يستقبلَه بالصبرِ حتىٰ يعطيه الله الكرامةَ في الدارِ الآخرة.

لا يصــحُّ الاحتجاج بالقدر لدفعِ الحدِّ، ولا لدفعِ العقابِ، وذلكَ لأنَّ القَدَر لا اطّلاعَ للعبدِ عليه فهو باختياره ارتكبَ المعصيةَ، أو باختيارِهِ قامَ بالطّاعة، فهو مُحَاسَبٌ علىٰ النهي والأمرِ، وهُوَ معاقبٌ أو مثابٌ علىٰ ذلك. وقد قيل: إنَّ الله يحاســب العباد علىٰ ما نهىٰ وأمرَ، لا علىٰ ما قضىٰ وقَدَّرَ.

ولكنْ يصحُّ الاحتجاجُ بالقَدَرِ بعد الوقوع لدفعِ اللوم والعتاب، كما كانَ بين آدمَ وموسىٰ عليهما الصلاة والسلام[1].

خلاصة هامة

يجبُ علىٰ المكلف أنْ يؤمنَ بأنَّ الله تعالىٰ عَلِم أزلاً بجميعِ أفعال العباد، وخَصَّصَ بإرادته سبحانه أزلاً هذه الأفعال علىٰ وِفْق العلم، وأنَّه أوجدها – حينَ أوجدَها فيما لا يزال – علىٰ القدرِ المخصوصِ، والوجْهِ المعيَّن الذي سبق العلم به، وخصَّصتْه الإرادةُ، بلْ إنَّ ذلكَ مما لا يتحقق الإيمان إلا بِه.

(١) في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((احتجَّ آدم وموسىٰ فقال له موسىٰ: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسىٰ اصطفاك الله بكلامه وخطَّ له بيده أتلومني علىٰ أمر قد قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة. فحَجَّ آدم موسىٰ. فحجَّ آدم موسىٰ. ثلاثًا)).

تعريف القضاء والقدر عند كلٍّ من الأشاعرة والماتريدية

القضاء عند الأشاعرة: إرادة الله الأشياء من الأزل علىٰ ما هي عليه فيما لا يزال، فهو من صفات الذات.

القضاء عند الماتريدية: إيجاد الله الأشياء مع زيادة الإحكام والإتقان، فهو راجعٌ، لصفات الأفعال.

القدر عند الأشاعرة: إيجاد الله الأشياء علىٰ قدرٍ مخصوصٍ، ووجْهٍ معيّنٍ أراده الله تعالىٰ، فهو من صفات الأفعال.

القدر عند الماتريدية: تحديد الله أزلاً كلّ مخلوقٍ بحدَّه الذي يوجد عليه من حُسْنٍ وقُبحٍ، ونفعٍ وضرٍ، إلىٰ غير ذلك، فهو علمه أوّلاً بصفات المخلوقات، وهو راجعٌ لصفة العلم، فهو من صفات الذات.

وهناكَ أمورٌ ينبغي ملاحظتها

- إنَّ أعمالَ العباد لها علاقةٌ كبرىٰ، وآثارٌ في الكون.
- ما نَزَلَ بلاءٌ من السماء إلا بذنبٍ ارتكبه أهلُ الأرضِ، ولنْ يُرْفَع إلاَّ بتوبةٍ.
- وما يتناول العباد من عقابٍ إلهيٍّ بشؤمِ ذنوبِهِم وسوءِ سلوكهم. قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[الشورىٰ:٣٠]. وقال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الرُّوم:٤١].

- مَنْ عَصَىٰ اللهَ فقد أَفْسدَ في الأرض، وكانَ سبباً لهلاكِ الحرثِ والنَّسلِ قال تعالىٰ: ﴿إِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[البَقَرَة:٢٠٥].
- وَرَدَ أنَّ النَّمْلة قالت: اللهم لا تُهْلِكَنا بذنوبِ بني آدم.
- عن الحارث بن ربعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الفاجرَ إذا ماتَ يستريحُ منه العبادُ والبلادُ والشجرُ والدوابُّ))[1].
- والعاصي مُعْتَدٍ علىٰ نَفْسِه، ومُعْتَدٍ علىٰ المجتمع.
- ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[الأنفَال:٢٥].

(١) البخاري (٦٥١٢).

اللوح والقلم والكرسي والعرش

يجب أنْ نعتقد باللوحِ والقلمِ والكرسيِّ والعرشِ، وهذا مِنَ الإيمانِ بالغيب.

القلم

هو جسمٌ عظيمٌ نورانيٌّ، خَلَقَه الله وأمَرَهُ أنْ يكتب ما كان، وما يكون إلىٰ يوم القيامة، والأَولىٰ أنْ نُمْسِكَ عن الجزمِ بتعيين حقيقَتِهِ.

اللَّوح

جسمٌ نورانيٌّ كتَبَ فيه القلمُ، بإذنِ الله تعالىٰ ما كان وما يكون إلىٰ يوم القيامة، وهو يُكتَبُ فيه الآنَ علىٰ التحقيق من أنه يقبل المحوَ والتغيير، ونُمْسِك أيضـًا عن الجزم بحقيقته.

الكرسيّ

جسمٌ عظيمٌ نورانيٌّ، تحتَ العرشِ، ملتصقٌ به، فوقَ السماءِ السابعة، بينَه وبينَها خمسمائة عام، كما نُقِل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، والأولىٰ أن نُمْسِكَ عن الجزم بتعيين حقيقته لعدم العلمِ بها، وهو غيرُ العرشِ خلافـًا للحسن البصري قال تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[البَقَرَة:٢٥٥].

العرشُ

جسمٌ عظيمٌ نورانيٌّ عُلويٌّ، والأَولىٰ الإمساك عن القطعِ بتعيين حقيقته لعدم العلمِ بها، فهو ممَّا يجبُ الإيمانُ بوجوده لوروده بالدليل السمعي، قال تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[الحَاقَّة:١٧].

الإسْرَاءُ والمِعْرَاجُ

ويجب أن نعتقدَ بالإسراءِ والمعراج.

الإسراء

ذكره القرآن: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الإسراء:١].

والمعراج

ذُكِرَ في سورة النجم ما يدلُّ عليه، وجاءت بهما الأحاديث الصحيحة: منها حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: ((فُرج سقفُ بيتي وأنا بمكةَ فنزل جبريلُ عليه السلام فَفَرَجَ صدري، ثُمَّ غسله من ماء زمزم، ثُمَّ جاء بِطِسْتٍ من ذهب مملوء حكمةً وإيمانًا فأفرغها في صدري، ثُمّ أطبقهُ، ثم أخذ بيدي، فعُرِجَ بي إلىٰ السَّماء...))[1] إلخ.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((أُتيتُ بالبُراق وهُو دابّةٌ أبيضُ، طويلُ، فوقَ الحمارِ ودون البَغْلِ، يضع حافره عند منتهىٰ طَرْفِهِ، قالَ: فركبتُه حتىٰ أتيتُ بيت المقدس قال: فربطتهُ بالحلقة التي يَرْبِطُ بهِ الأنبياء، قال: ثم دخلتُ المسجد، فصليتُ فيه ركعتين، ثم خرجتُ فجاءني جبريل عليه الصلاة والسلام بإناءٍ من خمرٍ، وإناءٍ من لبنٍ

(١) البخاري (٣٣٤٢).

فاخترت اللّبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترتَ الفطرةَ، ثمَّ عُرِجَ بنا إلىٰ السماء...))[1] إلخ.

والإسراءُ والمعراج كانا بالروح والجسد، يقظةً لا منامًا وهو الحقُّ الذي عليه أكثرُ العلماء، ومعظمُ السّلفِ، وعامَّةُ المتأخرينَ من الفقهاءِ والمحدِّثينَ عليهِ، والأحاديث تدلُّ علىٰ ذلك.

من الأدلة علىٰ ذلك

- كلمة (بِعَبْدِه) التي تشملُ الروحَ والجسدَ.
- ومنها استنكارُ المشركين لذلكَ، فلو كان بالمنام لما استنكروا ذلك.
- ومنها سؤاله عمَّا رأىٰ في الطريق، وإجابته لهم بمشاهداتهِ والتحقُّق مِنْها.
- ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾[النجم].

فلا يُقال هذا في المنام.

- ومنها سؤالُهم له عن صفاتِ بيت المقدس (المسجد الأقصىٰ)، وكَرِبَ لذلك النّبي ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((لقد رأيتُنِي في الحجرِ وقريشٌ تسألني عن مَسْرَايَ، فسَأَلَتْنِي عن أشياءَ من بيت المقدس لم أُثْبِتْها

(١) مسلم (١٦٢).

فكربت كربةً ما كربت مثلها قط، قال: فرفعه اللهُ لي أنظرُ إليه ما يسألوني عن شيءٍ إلا أنبأتهم به))[1].

وقد فُرِضَت الصلاة في المعراج خمسينَ، فَراجعَ رسولُ اللهِ ﷺ اللهَ حتىٰ صارت خمسـًا، وهي خمسٌ في العددِ خمسونَ في الأجرِ، كما ثبت ذلك في الصحاح.

وقد حكم العلماء علىٰ منكرِ الإسراء بالكفْرِ، لإنكاره النصَّ الصريحُ في أول سورة الإسراء، وكذلك حكم البعض علىٰ منكر المعراج لثبوته بما تدل عليه سورة النَّجم، ولكنَّ الأكثرينَ حَكَمُوا علىٰ منكر المعراجِ بالفسقِ لثبوته في الحديثِ الصحيحِ، وقالوا: يُخْشَىٰ عليه الكفر.

رؤيةُ اللهِ سبحانه وتعالىٰ في الدنيا

جائزةٌ لوقوعها في الآخرة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[القيامة]. ولو لَمْ تكنْ جائزةً لمَا سألها موسىٰ عليه الصلاة والسلام، إذْ لا يجهل نبيٌّ ما يجوزُ وما يمتنع في حقّه تعالىٰ.

واختلفَ العلماء في وقوعها لنبينا ﷺ في الدنيا فقد ذكر القاضي عياض رحمه الله ذلك.

وذكر أنَّ السيدة عائشة رضي الله عنها أنكرته كما وَقَع في صحيح مسلم عنها، وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة، وهو المشهور عن ابن مسعود.

---

(١) مسلم (١٧٢).

وذكر أن عبد الله بن عباس ﷺ روىٰ عن النبي ﷺ أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب ﷺ، وكان الحسن البصري يحلف علىٰ ذلك. وحُكي مثله عن ابن مسعود، وأبي هريرة، وأحمد بن حنبل، وكان يجزم بذلك، ولا يقبل فيه خلافًا، وحكىٰ أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري، وجماعة من أصحابه أنه ﷺ رآه، واختار صاحب التحرير إثبات الرؤية، قال: والحجج في ذلك كثيرةٌ، ولكنَّا لا نتمسك إلا بالأقوىٰ منها، وهو حديث ابن عباس ﷺ، وهو حبر الأمة، والمرجوع إليه في المعضلات، وهو ينقل عن النبي ﷺ قوله: رأيتُ ربي.

وَيخْلُص صاحب التحرير إلىٰ أنَّ السيدة عائشة لم تخبر عن النبي ﷺ وإنّما ذكرتْ ما ذكرتْ متأوِّلةً لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[الشورىٰ:٥١]. ولقولهِ تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الأنعام:١٠٣].

والصحابيُ إذا قال قولاً وخالفَه غيرُه مِنْهم لم يكن قولُه حجةً، وإذا صحت الرواية عن ابن عباس في إثبات الرؤية وَجَبَ المصيرُ إلىٰ إثباتِها فإنّها ليست مما يُدرك بالعقلِ، ويُؤخذُ بالظنّ، وإنّما يُتَلَقَّىٰ بالسماعِ، ولا يستجيزُ أحدٌ أن يظُنّ بابنِ عباس أنّه تكلم في هذه المسألة بالظنّ والاجتهاد.

وقد قال معمرُ بنُ راشـــد: ثمَّ إنّ ابن عباس أثبَت شـــيئـًا نفاه غيره، والمثبتُ مقدَّمٌ علىٰ النافي[1].

(١) الكلام ملخص من كلام صاحب التحرير إسماعيل الأصبهاني من شرح النووي علىٰ مسلم (١/ ٣١٢).

قال النووي في شرح صحيح مسلم: فالحاصلُ أنَّ الراجح عند أكثر العلماء أنّ رسول الله ﷺ رأىٰ ربه بعينَي رأسِه ليلة الإسراء، لحديث ابن عباس وغيره ممَّا تقدَّم، وإثباتُ هذا لا يأخذونه إلا بالسَّماع من رسول الله ﷺ، هذا مما لا ينبغي أن يَتشَكك فيه.

ثمّ إنّ عائشة رضي الله عنها لم تنفِ الرؤية بحديث سمِعَتْه من رسول الله ﷺ، ولو كان معها حديث لذكرْتهُ، وإنّما اعتمدت الاستنباطَ من الآيات وسنوضح الجواب عنها.

فأما احتجاج عائشة رضي الله عنها بقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[الأنعام:١٠٣]. فجوابهُ ظاهرٌ فإنّ الإدراك هو الإحاطة والله تعالىٰ لا يُحاط به، وإذا ورد النص بنفي الإحاطة فلا يلزم منه نفيُ الرؤية بغير إحاطة.

وأما احتجاجها بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[الشورى:٥١]، فالجواب عنه من أوجه:

أحدها: أنَّه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية، فيجوز وجود الرؤية من غير كلام.

الثاني: إنّه عامٌّ مخصوصٌ بما تقدَّم من الأدلة.

الثالث: ما قاله بعضُ العلماء أنَّ المراد بالوحي الكلام من غير واسطة، وهذا الذي قاله هذا القائل وإن كان محتملاً، ولكنَّ الجمهور علىٰ أنَّ المراد بالوحي هنا الإلهام والرؤية في المنام. وكلاهما يُسمّىٰ وحيًا.

وأما قوله ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾، يسمعون كلامًا من حيث لا يرونه. اهـ من شرح مسلم للنووي.

واختلف العلماء هل كلَّم نبينا محمد ﷺ ربَّه بواسطة أَوْ لا؟

حكىٰ الأشعري وقوم من المتكلمين أنّه كلَّمه، وعزاه بعضهم إلىٰ جعفر بن محمد، وابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهم. وأنكره بعضهم.

واختلف العلماء في آيات النجم.

صحَّح بعض العلماء أنَّ النّبي ﷺ رأىٰ جبريل علىٰ صورته الحقيقية مرتين: مرةً في الأرض، ومرةً عند سدرة المنتهىٰ. ورُوي ذلك عن ابن مسعود، وعن أبي هريرة، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهم أيضًا أنّه رأىٰ ربه سبحانه وتعالىٰ والله أعلم.

ونقل الإمام النووي في شرح مسلم أنَّ جمهورَ المفسرين ذهبوا إلىٰ أنَّ المراد رأىٰ ربه، ثمَّ اختلفوا فقال بعضهم: رآه بعينه، وقال بعضهم: رآه بفؤاده، أو رآه بقلبه، أي جعل بَصَرَهُ في فُؤَادِه. والله أعلم.

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد النبي الأمّيّ وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

ISBN 978-1-953269-12-6

الناشر

موقع الشيخ محمد علي مشعل

www.mashal.ws